قبض العلم بقبض العلماء

التوحيد

العدد ٦٤٦ السنة الرابعة والخمسون - شوال ١٤٤٦ هـ الثمن ١٠ جنيهات

زكاة الفطر..
وحكم إخراجها قيمة

العيد
أُلفة ومحبة ووئام

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٤٦ السنة الرابعة والخمسون - شوال ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويا.
للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى بالجنيه المصري.

السلام عليكم

مقادير زكاة الفطر

عنْ أَبي سعيد الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: كُنَّا نُخْرِجُ إِذْ كَانَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ عنْ كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، حُرٍّ أَوْ مَمْلُوكٍ، صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ. رواه مسلم.

الصنف	المقدار (وزن الصاع بالكيلو)
الأرز	٢,٧٥ كيلو جرام
العدس	٢,٧٥ كيلو جرام
اللوبيا	٢,٤٠٠ كيلو جرام
الفاصوليا	٢,٦٠٠ كيلو جرام
الدقيق	١,٩٠٠ كيلو جرام
التمر	١,٧٥٠ كيلو جرام
الزبيب	١,٦٠٠ كيلو جرام

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

رئيس التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالا ، الإمارات ١٢ درهمًا ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

فهرس العدد

فقد العلم بفقد العلماء	الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد	٢
باب التفسير	د. عبد العظيم بدوي	٥
مسائل في علم التوحيد	د. عبد الله شاكر	٨
زكاة الفطر وحكم إخراجها قيمة	د. أيمن خليل	١٠
فضل التسبيح والتحميد	د. جمال المراكبي	١٧
وصايا الآباء للأبناء	أ. عبد العزيز مصطفى الشامي	٢١
المحافظة على الأعمال الصالحة بعد رمضان	الشيخ صلاح نجيب الدق	٢٤
واحة التوحيد	د. علاء خضر	٢٨
أيها الإنسان احذر عدوك الشيطان	د. محمد حامد	٣٠
من أخبار الجمعية	التحرير	٣٣
ورحل الشيخ أبو إسحاق الحويني، رحمه الله	التحرير	٣٤
مقاصد وأحكام صيام الست من شوال	د. محمد عبد العزيز	٣٩
الألفاظ الموهمة في باب الصفات	د. محمد عبد العليم الدسوقي	٤٣
كيفية إتيان الوحي	الشيخ مصطفى البصراتي	٤٧
الدعوة إلى الله تعالى	الشيخ إبراهيم حافظ رزق	٤٩
ثبّت قلبي على دينك	الشيخ صلاح عبد الخالق	٥٢
العيد ألفة ومحبة	الشيخ عبده أحمد الأقرع	٥٥
الجان واستماعهم للقرآن	د. أحمد بن سليمان أيوب	٥٨
منزلة الشهداء	د. سيد عبد العال	٦١

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

قبض العلم بقبض العلماء

إعداد: الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

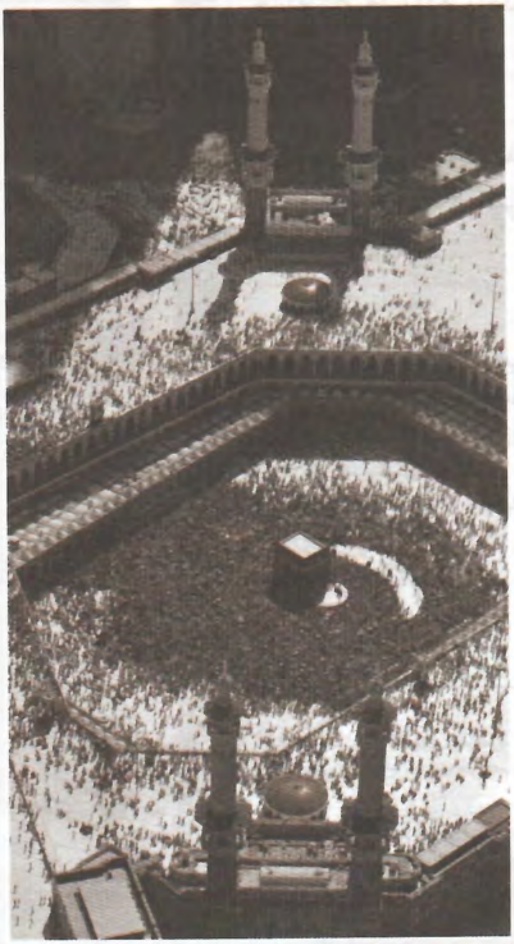

الحمد لله الذي تفرد بالبقاء، وكتب على كل خلقه الفناء، والصلاة والسلام على إمام الأولياء، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعدُ:

فإن قدر الله تعالى على عباده في الموت نافذ دون توقف: «نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ» (الواقعة: ٦٠، ٦١)؛ قال ابن جرير رحمه الله عند تفسير هذه الآيات: «يقول تعالى ذكره: نحن قدرنا بينكم أيها الناس الموت، فجعلناه لبعض وأخرناه عن بعض إلى أجل مسمى».

وقال القرطبي رحمه الله نقلاً عن الضحاك: "أي سوينا بين أهل السماء وأهل الأرض، فها هو الموت يدرك الجميع مهما احتاط منه الناس: «أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ» (النساء: ٧٨)".

وحكى القرطبي أن ابن عباس قال: معناه: في قصور من حديد، وقال ابن كثير رحمه الله: أي: أنتم صائرون إلى الموت لا محالة،

ولا ينجو منه أحد منكم، «وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ»؛ أي: حصينة مبنية عالية رفيعة، ولا يُغني حذر وتحصُّن من الموت، كما قال زهير بن أبي سلمى:

ومن خاف أسباب المنية يلقها

ولو رام أسباب السماء بسُلم

وقال سبحانه: «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (الجمعة: ٨)، ولو كان البقاء في الدنيا لأحد من الناس لكان لخير البرية وسيد البشرية الذي أُنزل عليه قوله تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (الزمر: ٣٠)، وأنزل عليه قوله سبحانه: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» (الأنبياء: ٣٤، ٣٥).

ولا شك أن الموت من أعظم ما يُصاب به العبد في دنياه، فيحزن القلب، وتدمع العين، وتزداد المصيبة إن كان الميت أمًّا أو أبًا، أو أحد المقربين، وقد دمعت عين النبي صلى الله عليه وسلم يوم وفاة ولده كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ابنه إبراهيم رضي الله عنه وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ قال: «يا ابن عوف، إنها رحمة»، ثم أتبعها بأخرى، فقال: «العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

وتزداد المصيبة وتعظم بفقد العلماء الذين هم صمام الأمان، ودعاة الناس إلى سبيل رب العالمين، كيف لا وبفقدهم يُفسَح المجال للضالين المضلين للقول على الله بغير الحق، والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا نذير بقبض العلم، كما في الحديث المتفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلوا».

> لا شك أن الموت من أعظم ما يُصاب به العبد في دنياه.

ومن هذا الحديث الشريف نرى قدر العلماء ومنزلتهم، وأن موتهم علامة على قبض العلم، وهو علامة من علامات الساعة؛ قال الإمام النووي رحمه الله: «هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث المطلقة ليس هو محوه من صدور حُفَّاظه، ولكن معناه أن يموت حملته، ويتخذ الناس جهالاً يحكمون بجهالاتهم فيُضلُّون ويضلون، وقد قيَّض الله للعلم مَن يحافظ عليه ويدافع عنه؛ فها هم علماء الحديث

الذين يقفون بالمرصاد لكل من تسوّل له نفسه الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصدق الله إذ يقول: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ » (الحجر: ٩).

ولما غاب العلماء الربانيون اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فتراهم يُحِلّون ما حرَّم الله ويُحرّمون ما أحل الله؛ حتى صار الحرام عند الكثير من الناس حلالاً بسبب الجهال المنتسبين إلى العلم، والمتخذين إياه سلعة يتكسبون من ورائها، حتى رأينا من يطوف بقبور الموتى ويطلب منهم الغوث والمدد ويشد الرحال إلى قبورهم من أجل الشفاء أو العطاء، أو رفع البلاء بمباركة من ينتسبون إلى العلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

> تزداد المصيبة وتعظم بفقد العلماء الذين هم صمام الأمان، ودعاة الناس إلى سبيل رب العالمين.

ورأينا من يتحول من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال لا لشيء إلا لدنيا يصيبها دون خشيةٍ لربه القائل سبحانه: « إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ » (فاطر: ٢٨)، وأول أبواب العلم وأساسه معرفة وحدانية الله تعالى، « فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ » (محمد: ١٩).

وها نحن نسمع كل يوم بموت واحد من العلماء، وفي السابع عشر من شهر رمضان ١٤٤٦هـ سمع العالم كله بموت الشيخ أبي إسحاق الحويني، رحمه الله، وقد فقدت الأمة بفقده رجلاً محبًا لدينه، مدافعًا عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ حيث كان الشيخ على خُلق حسن يشهد له جميع من تعامل معه بذلك.

وقد كان لأسلوبه السهل، وأحسب إخلاصه، سببًا في قبول الناس لدعوته، وقد هداه الله لسلوك طريق الدعوة إلى الله بعد أن أتم دراسته النظامية في مجال لا علاقة له بالدعوة، وأخذ الأمر مأخذ الجد، فطلب العلم الشرعي، فوفَّقه الله للتفوّق فيه كما كان متفوقًا في دراسته السابقة.

وقد كان للشيخ من الجولات في الدعوة إلى الله ما ترك أثرًا في نفوس الكثير؛ بسبب سهولة أسلوبه وبشاشة وجهه، ولا يخفى ما تركه الشيخ رحمه الله تعالى من خطب ودروس مسموعة ومقروءة، وما كان له من مؤلفات نحسبها من العلم النافع الذي نسأل الله تعالى أن يوسع بها عليه في قبره.

ومن مناقب الشيخ رحمه الله: صبره على ما ابتلاه الله به من مرض في آخر حياته، فنسأل الله تعالى أن يحشره مع الأنبياء الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: « إن من أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم » أخرجه أحمد.

فاللهم إنا نسألك بأسمائك وصفاتك أن تجعل قبره روضة من رياض الجنة، وأن تحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب
سورة الأحزاب

قال الله تعالى: « قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ
إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ
أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ
أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا
وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا
فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠) لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ
بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا »
(الأحزاب: ١٧- ٢٥).

إعداد: د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له

ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ الْأَسْبَابَ كُلَّهَا لَا تُغْنِي عَنِ الْعَبْدِ شَيْئًا إِذَا أَرَادَهُ اللهُ بِسُوءٍ، فَقَالَ تَعَالَى: «قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم» أَيْ: يَمْنَعُكُمْ «مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا» أَيْ: شَرًّا، «أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً»، فَإِنَّهُ هُوَ الْمُعْطِي الْمَانِعُ، الضَّارُّ النَّافِعُ، الَّذِي لَا يَأْتِي بِالْخَيْرِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَدْفَعُ السُّوءَ إِلَّا هُوَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (فاطر: ٢)، وَقَالَ تَعَالَى: « قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ » (الزمر: ٣٨)، وَقَالَ تَعَالَى: « وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (الأنعام: ١٧)، وَقَالَ تَعَالَى: « وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (يونس: ١٠٧).

وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُهِلُّ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ: « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ ». (صحيح البخاري: ٨٤٤).

وَمِنْ وَصَايَاهُ صلى الله عليه وسلم: « وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ

عليك، رُفعت الأقلامُ، وجفّت الصُّحفُ». (صحيح الترمذي: ٢٥١٦).

وقولُه تعالى: «ولا يجدُون لَهُم مِن دُون اللهِ وليًّا» يتولَّاهُم، فيجلب لهُمُ النَّفع «ولا نصيرًا (١٧)» ينصُرهُم، فيدفع عنهُمُ المضارَّ، فليمتثلوا طاعة المنفرد بالأمور كلها، الَّذي نفذتْ مشيئتُه، ومضى قدرُه، ولم ينفعْ مع تركِ ولايته ونصرته وليٌّ ولا ناصرٌ. (تيسير الكريم الرحمن ٦/٢٠٥).

من صفات المنافقين الشح والبخل والجبن:

ثُمَّ يُقرِّرُ اللهُ علمهُ بالمُنافقين وتثبيطهمْ للمُجاهدين، فيقولُ تعالى: «قدْ يعْلمُ اللهُ المُعوّقين منكمْ والقائلين لإخْوانهمْ هلُمَّ إليْنا» أي: إلى ما نحنُ فيه من الإقامة في الظلال والثمار، وهُمْ مع ذلك «ولا يأتُون البأس إلَّا قليلًا (١٨) أشحَّةً عليْكُمْ» أيْ: بُخلاء بالمودّة، والشفقة عليْكُمْ. «فإذا جاء الخوْفُ رأيْتهُمْ ينظُرُون إليْك تدُورُ أعْيُنُهُمْ كالَّذي يُغْشى عليْه من المَوْت» أيْ: منْ شدّة خوْفه وجزعه، وهكذا خوْفُ هؤُلاء الجُبناء من القتال. «فإذا جاء الخوْفُ رأيْتهُمْ ينظُرُون إليْك تدُورُ أعْيُنُهُمْ كالَّذي يُغْشى عليْه من المَوْت فإذا ذهب الخوْفُ سلقُوكُم بألْسنةٍ حدادٍ» أيْ: فإذا كان الأمْنُ تكلَّمُوا كلامًا بليغًا فصيحًا عاليًا، وادَّعوْا لأنفُسهمُ المقامات العالية في الشجاعة والنَّجدة، وهُمْ يكذبُون في ذلك، ولهذا قال تعالى: «أولئك لمْ يُؤْمنُوا فأحْبط اللهُ أعْمالهُمْ وكان ذلك على الله يسيرًا (١٩)» أيْ: سهْلًا هيّنًا عنْدهُ.

«يحْسبُون الأحْزاب لمْ يذْهبُوا وإن يأْت الأحْزابُ يودُّوا لوْ أنَّهُم بادُون في الأعْراب يسْألُون عنْ أنبائكُمْ ولوْ كانُوا فيكُم مَّا قاتلُوا إلَّا قليلًا (٢٠)»: وهكذا وصفهُمُ اللهُ تعالى بالشُّحّ والبُخْل، وهُما شرُّ ما في الإنْسان، كما في الحديث عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «شرُّ ما في رجُلٍ شُحٌّ هالعٌ وجُبْنٌ خالعٌ». (صحيح أبي داود: ٢١٩٢).

ومنْ جُبْنهمْ أنَّهُمْ بعْد انْصراف الأحْزاب ورُجُوعهمْ، «يحْسبُون الأحْزاب لمْ يذْهبُوا» بلْ هُمْ قريبٌ منْهُمْ، وإنَّ لهُمْ عوْدةً إليْهمْ، «وإن يأْت الأحْزابُ يودُّوا لوْ أنَّهُم بادُون في الأعْراب يسْألُون عنْ أنبائكُمْ» أيْ: ويودُّون إذا جاءت الأحْزابُ أنَّهُمْ لا يكُونُون حاضرين معكُمْ في المدينة، بلْ في البادية، يسْألُون عنْ أخْباركُمْ، وما كان منْ أمْركُمْ مع عدُوّكُمْ. «ولوْ كانُوا فيكُم مَّا قاتلُوا إلَّا قليلًا (٢٠)» أيْ: ولوْ كانُوا بيْن أظْهُركُمْ، لما قاتلُوا معكُمْ إلَّا قليلًا، لكثْرة جُبْنهمْ وذلّتهمْ وضعْف يقينهمْ، واللهُ تعالى العالمُ بهمْ. (تفسير القرآن العظيم: ٣/٤٧٤، بزيادة يسيرة).

شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين:

ذلك كان حال المُنافقين والَّذين في قُلوبهمْ مرضٌ، والمُرْجفين في الصُّفوف، وتلْك كانتْ صُورتُهُمْ الرَّديئة. ولكنَّ الهوْل والكرْب والشّدّة والضّيق لمْ تُحوّل النَّاس جميعًا إلى هذه الصُّورة الرَّديئة، كانتْ هُنالك صُورةٌ وضيئةٌ في وسط الظّلام، مُطْمئنَّةٌ في وسط الزّلْزال، واثقةٌ بالله، راضيةٌ بقضاء الله، مُسْتيْقنةٌ منْ نصْر الله، بعْد كُلّ ما كان منْ خوْفٍ وبلْبلةٍ واضْطرابٍ.

ويبْدأُ السّياقُ هذه الصُّورة الوضيئة برسُول الله صلى الله عليه وسلم: «لّقدْ كان لكُمْ في رسُول الله أُسْوةٌ حسنةٌ لّمن كان يرْجُو الله واليوْم الآخر وذكر الله كثيرًا (٢١)»:

يقُولُ سُبْحانهُ: «لّقدْ كان لكُمْ في رسُول الله أُسْوةٌ حسنةٌ» أيْ قُدْوةٌ صالحةٌ، وهي فعْلةٌ من الائْتساء، كالقُدْوة من الاقْتداء، اسْمٌ وُضع موْضع المصْدر، أيْ به اقْتداءٌ حسنٌ أنْ تنْصُرُوا دين الله، وتُوازرُوا الرّسُول ولا تتخلَّفُوا عنْهُ، وتصْبرُوا على ما يُصيبُكُمْ كما فعل هُو، إذْ كُسرتْ رباعيتُهُ، وجُرح وجْهُهُ، وقُتل عمُّهُ، وأُوذي بضُرُوبٍ من الأذى، فواساكُمْ مع ذلك بنفْسه، فافْعلُوا أنْتُمْ كذلك أيْضًا واسْتنُّوا بسُنّته، «لّمن كان يرْجُو الله»، بدلٌ منْ قوْله «لكُمْ»، وهُو تخْصيصٌ بعْد تعْميمٍ للمُؤْمنين، يعْني أنَّ الأُسْوة برسُول الله صلى الله عليه وسلم «لّمن كان يرْجُو الله». قال ابْنُ عبّاسٍ-رضي الله عنه-: يرْجُو ثواب الله. وقال مقاتلٌ رحمهُ اللهُ: يخْشى الله. «واليوْم الآخر» أيْ يخْشى يوْم البعْث الَّذي فيه جزاءُ الأعْمال. «وذكر الله كثيرًا (٢١)» في جميع المواطن على السَّرّاء والضَّرّاء.

ثُمَّ وصف حال المُؤْمنين عنْد لقاء الأحْزاب فقال: «ولمّا رأى المُؤْمنُون الأحْزاب قالُوا هذا ما وعدنا اللهُ ورسُولُهُ وصدق اللهُ ورسُولُهُ وما زادهُمْ إلَّا إيمانًا

وتسليمًا (٢٢)».
لقد كان الهول الذي واجهه المسلمون في هذا الحادث من الضخامة، وكان الكرب الذي واجهوه من الشدة، وكان الفزع الذي لقوه من العنف، بحيث زلزلهم زلزالا شديدًا، كما قال عنهم أصدق القائلين: «هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدًا (١١)»، ولكن كان إلى جانب الزلزلة، وزوغان الأبصار، وكرب الأنفاس، كان إلى جانب هذا كله الصلة التي لا تنقطع بالله، والإدراك الذي لا يضل عن سنن الله، والثقة التي لا تتزعزع بثبات هذه السنن، وتحقق أواخرها متى تحققت أوائلها. ومن ثم اتخذ المؤمنون من شعورهم بالزلزلة سببًا في انتظار النصر. ذلك أنهم صدقوا قول الله سبحانه من قبل: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» (البقرة: ٢١٤)، وهاهم أولاء يزلزلون، فنصر الله إذا منهم قريب، ومن ثم قالوا: «هذا ما وعدنا الله ورسوله» هذا الهول، وهذا الكرب، وهذه الزلزلة، وهذا الضيق، وعدنا عليه النصر، فلا بد أن يجيء النصر، «وصدق الله ورسوله» صدق الله ورسوله في الأمارة، وصدق الله ورسوله في دلالتها.
ومن ثم اطمأنت قلوبهم لنصر الله ووعد الله: «وما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا». (معالم التنزيل: ٤/٤٥٠).
وبعد عرض هذه الصورة الوضيئة المشرقة للمؤمنين، يثني الله تعالى على رجال منهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فيجعلهم أيضًا صورة مشرقة، مقابل صورة المنافقين المظلمة، الذين لم يفوا بعهد الله. فيقول تعالى: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (٢٣)»:
عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن عمه غاب عن قتال بدر، فقال: غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين، لئن الله أشهدني قتالا للمشركين ليرين الله كيف أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه. ثم تقدم فلقيه سعد، فقال: يا أخي ما فعلت أنا معك؟ فلم أستطع أن أصنع ما صنع، فوجد فيه بضع وثمانون من ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، فكنا نقول فيه وفي أصحابه نزلت: «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر». (صحيح البخاري: ٢٨٠٥).

من حكم الابتلاء:

وبعد عرض الصورتين: صورة المنافقين، وصورة المؤمنين، يعقب الله عليها ببيان حكمة الابتلاء، وعاقبة النقض والوفاء، فيقول سبحانه: «ليجزي الله الصادقين بصدقهم» بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا، «ويعذب المنافقين» بما صدر عنهم من الأعمال والأقوال المحكية، «إن شاء» تعذيبهم، «أو يتوب عليهم» إن تابوا، «إن الله كان غفورًا رحيمًا (٢٤)» أي لمن تاب، وهو اعتراض فيه بعث إلى التوبة (إرشاد العقل السليم: ٥/٢٢٠).

نتائج غزوة الأحزاب:

ثم يختم الله تعالى الحديث بذكر نتيجة الغزوة، فيقول تعالى: «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويًا عزيزًا (٢٥)».
وهكذا أوجزت الآية الكريمة نتيجة الغزوة في أمور أربعة، وهي:
أولا: رجوع الذين كفروا عن المدينة «ورد الله الذين كفروا بغيظهم».
ثانيا: فشلهم الذريع في تحقيق أي نجاح «لم ينالوا خيرًا».
ثالثا: وضع إصر القتال عن المؤمنين «وكفى الله المؤمنين القتال».
ورابعا: أن يكونوا على ذكر دائم بفضل الله عليهم، «وكان الله قويًا عزيزًا». (السيرة النبوية العطرة: ٣٢٢).
وهكذا بدأت المعركة، وسارت في طريقها، وانتهت إلى نهايتها، وزمامها في يد الله، يصرفها كيف يشاء. وأثبت النص القرآني هذه الحقيقة بطريقة تعبيره. فأسند إلى الله تعالى إسنادًا مباشرًا كل ما تم من الأحداث والعواقب، تقريرًا لهذه الحقيقة، وتثبيتا لها في القلوب، وإيضاحا للتصور الإسلامي الصحيح.
وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

مسائل علم التوحيد

العقل ودوره في مسائل العقيدة

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد: فقد بينا في المقالة السابقة أهمية السنة النبوية ودورها في الاحتجاج بها في مسائل العقيدة الإسلامية وتكلمنا عن الخبر المتواتر والآحاد ثم فصلنا الكلام عن خبر الآحاد لأهميته وكثرة الجدال حوله وكيفية وجوبه ثم نتكلم في هذه المقالة عن العقل ودوره في مسائل العقيدة.

أولا: تعريف العقل في اللغة والاصطلاح، وبيان تفاوت العقول:

وتشتمل على النقاط التالية:

أ- تعريف العقل في اللغة والاصطلاح:

العقل في اللغة: المنع.

العقل في الاصطلاح:

عرفه أبو الوليد الباجي- رحمه الله- بأنه: «العلم الضروري الذي يقع ابتداءً ويعم العقلاء، والعلم الضروري هنا هو ما يلزم نفس المخلوق بحيث لا يمكنه الانفكاك منه ولا الخروج عنه».

وقوله- رحمه الله- في التعريف: «يقع ابتداء» أي: من غير تحصيل ولا كسب له عن طريق أحد الحواس الخمس؛ كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الضدين لا يجتمعان.

وقوله: «ويعم العقلاء» أي: يعم كل عاقل من بني آدم، وأراد بذلك إخراج المجانين ومن في حكمهم، وكذا الحيوانات.

وفي الحقيقة: هذا التعريف عليه بعض الملاحظات كما ذكر ذلك بعض الباحثين، وأخبر بأن الباجي- رحمه الله تبارك وتعالى- قصر في تعريفه للعقل على العلوم الضرورية، وخص منها ما يقع ابتداء دون ما يحصل بكسب الحواس؛ فجعل العقل بذلك شاملًا لجميع العقلاء، ومن ثم فلا يمتاز أحد على أحد من جهة العقل، فلا يقال: فلان ذو عقل، أو فلان عقول، أو غير ذلك من ألقاب التفاضل.

ومعنى هذا: أن تعريف الباجي رحمه الله يؤدي إلى هذا الأمر الذي سنبين عدم صحته- إن شاء الله تبارك وتعالى.

ولذلك التعريف الذي اختاره بعض الباحثين في تعريف العقل اصطلاحًا أن يقال: العقل يقع بالاستعمال على أربعة معان: الغريزة المدركة، والعلوم الضرورية، والعلوم النظرية، والعمل

بمقتضى العلم.

ب- بيان تفاوت العقول:

تقدم تعريف الباجي- رحمه الله- للعقل، وذكرنا أنه يلزم منه: أن يكون الناس في عقولهم سواء، لا يتفاضلون ولا يتفاوتون، فعقل الناس على هذا واحد لا يتفاوت من واحد لآخر، وهذا هو مذهب المعتزلة والأشاعرة، ووافقهم ابن عقيل من الحنابلة، وهو ما ذهب إليه الفلاسفة وعلى رأسهم «ديكارت» القائل بأن: العقل هو أحسن الأشياء توزعًا بين الناس بالتساوي... إلى أن قال: إن اختلاف آرائنا لا ينشأ من أن البعض أعقل من البعض الآخر.

وحجة المتكلمين في عدم تفاوت العقول واختلافها هي: أن العقل حجة عامة يرجع إليها الناس عند اختلافهم، ولو تفاوتت العقول لما حصل ذلك، وهذا مبني على مذهبهم في تعريف العقل بأنه: بعض العلوم الضرورية، والتي لا يختلف الناس عليها، والصواب ما تقدم، وهو أن مسمى العقل يشمل العلوم الضرورية والنظرية، فالتحاكم إلى العلوم الضرورية يحتمل النزاع والاختلاف، وهذا مشهور بين الناس، ولاسيما المشتغلين بالعلوم العقلية من الفلاسفة والمتكلمين، حيث يكثر بينهم التنازع والاختلاف.

والحق أن يقال: إن العقول تتفاوت من شخص إلى شخص، بل قد يحصل هذا التفاوت في الشخص الواحد، وهذا في الحقيقة أمر مشاهد وواضح، فعقول الناس ليست سواء، وإذا نظرنا حولنا سنجد أن قومًا قد اخترعوا بعض المخترعات أو اكتشفوا بعض المكتشفات- بل إن الطالب الواحد قد يجلس مع زميله في قاعة واحدة وكلاهما يستمع إلى درس واحد- ومع ذلك نجد الواحد منهم قد يدرك من الأمور التي سمعها ما لا يدركه الآخر، فدل ذلك على التفاوت، ولا مجال للنزاع في هذه القضية.

ومما نستدل به على أن العقول تتفاوت، وأنها ليست على درجة واحدة: ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن» فهذا يدل على التفاوت، إذ الحديث دل بمنطوقه على النقصان: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين» وهذا منطوق وبمفهومه على الزيادة، وهو معنى التفاوت؛ لأن الشيء الذي ينقص لا شك أنه يزيد، بل هو دليل على تفاوت العقل الغريزي أيضًا؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قرر أن جنس النساء فيه نقصان للعقل، وهذا لا يكون إلا في الغريزة التي خلقن بها؛ ولأن التفاوت في الجانب الكسبي فرع عن التفاوت في الجانب الغريزي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تبارك وتعالى-: الصحيح الذي عليه جماهير أهل السنة، وهو ظاهر مذهب أحمد وأصح الروايتين عنه، وقول أكثر أصحابه، أن العلم والعقل ونحوهما يقبل الزيادة والنقصان».

وهذه في الحقيقة كلمة سديدة من الإمام ابن تيمية- رحمه الله تبارك وتعالى- وقد عزا هذا القول إلى جماهير أهل السنة، وذكر أن هذا القول هو الصحيح، والأمر كما ذكر- رحمه الله تبارك وتعالى-.

جـ- مكان العقل في الإنسان:

اختلف أهل العلم في مكان العقل من جسم الإنسان، فقالت الأحناف والحنابلة- وهو مذهب المعتزلة-: إن العقل محله الدماغ، أي: الرأس في الإنسان، ودليلهم على ذلك: انه إذا ضرب الرأس ضربة قوية زال معها العقل، وقالوا أيضًا: إن العرب تقول للعاقل: وافر الدماغ، ولضعيف العقل: خفيف الدماغ، وهو محل الإحساس.

وقالت المالكية والشافعية: العقل محله القلب، وعليه بعض الحنابلة، يعني: أن الحنابلة ليسوا جميعًا يقولون بأن العقل محله الدماغ، بل ذهب بعضهم إلى أن العقل محله القلب، ونسب ذلك إلى الأطباء، وصححه الباجي، ودليلهم قول الله تعالى: «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (الحج: ٤٦)، فأضاف منفعة كل عضو إليه، فمنفعة العقل التعقل، كما أن منفعة الأذن السمع.

والتحقيق أن العقل له تعلق بالدماغ والقلب معًا؛ حيث يكون مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة والقصد في القلب، فالمريد لا يكون مريدًا إلا بعد تصور المراد، والتصور محله الدماغ الذي هو في الرأس، ولهذا يمكن أن يقال: إن القلب موطن الهداية، والدماغ موطن الفكر، ولذا قد يوجد في الناس من فقد الهداية الذي محله القلب، واكتسب عقل الفكر والنظر الذي محله الدماغ، كما قد توجد ضده هذه الحال.

ثانيا: منزلة العقل في الإسلام:

كرم الإسلام العقل أيما تكريم، حين جعله مناط التكليف عند الإنسان، والذي به فضله الله على كثير ممن خلق تفضيلا، وكرمه حينما وجهه إلى النظر والتفكر في النفس والكون والآفاق؛ اتعاظًا واعتبارًا وتسخيرًا لنعم الله واستفادة منها، وكرمه حين أمسكه عن الولوج فيما لا يحسنه ولا يهتدي فيه على سبيل رحمة به وإبقاء على قوته وجهده.

كيف كرم الإسلام للعقل؟

أولا: خص الله تعالى أصحاب العقول بالمعرفة التامة لمقاصد العبادة وحكم التشريع، قال تعالى بعد أن ذكر جملة أحكام الحج: «الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » (البقرة: ١٩٧)، وقال تعالى عقب ذكر أحكام القصاص: « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون » (البقرة: ١٧٩)، والله عز وجل حينما يوجه لأولي الألباب يعني ذلك: أنه يبين مكانة العقل، ويدعو إلى التعقل والاعتبار لما جاء في كتابه.

ثانيا: قصر سبحانه وتعالى الانتفاع بالذكر والموعظة على أصحاب العقول، فقال تعالى: « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » (ص: ٢٩)، وقال تعالى: «ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» (يوسف: ١١١)، وقال تعالى: « ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون » (العنكبوت: ٣٥).

ثالثا: ذكر الله تعالى أصحاب العقول وجمع لهم النظر في ملكوته والتفكر في آلائه، مع دوام ذكره ومراقبته وعبادته، قال تعالى: « إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب (١٩٠) الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » (آل عمران: من ١٩٠- ١٩١)، إلى أن قال- سبحانه-: « ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد » (آل عمران: ١٩٤).

رابعًا: ذم الله تعالى المقلدين لآبائهم، وذلك حين ألغوا عقولهم وتنكروا لأحكامها، رضا بما كان يصنع الآباء والأجداد، قال تعالى ناعيًا عليهم ما وقعوا فيه: « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون (١٧٠) ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون » (البقرة: من ١٧٠- ١٧١)، وهذه الآيات تدل على مكانة العقل في الإسلام.

خامسًا: حرم الإسلام الاعتداء على العقل بحيث يعطله عن إدراك منافعه فمثلًا حرم على المسلم شراب المسكر والمفتر، وكل ما يخامر العقل ويفسده، قال تعالى- مبينًا حرمة كل ما يفسد العقل-: « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (المائدة: ٩٠)، وعن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر». وجعل الإسلام الدية كاملة في الاعتداء على العقل وتضييع منفعته بضرب ونحوه، قال عبد الله بن الإمام أحمد: سمعت أبي يقول: في العقل دية. يعني: إذا ضرب فذهب عقله. قال ابن قدامة: لا نعلم في هذا خلافًا.

والحمد لله رب العالمين.

زكاة الفطر.. وحُكم إخراجها قيمةً

إعداد د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وبعد: فإن زكاة الفطر هي "صدقة تجب بالفطر من رمضان". وزكاة الفطر هي أمر تعبُّدي نمتثل فيه لأمر الله عز وجل، وهو أيضًا طهرة للصائم من اللغو والرفث، وجبر لنقص الصوم، وشكرٌ لله تعالى على إتمام الشهر، وطعمة للمساكين في هذا اليوم.

أدلة مشروعية زكاة الفطر

زكاة الفطر واجبة بالسنة المطهرة وبالإجماع، فأما السنة فلحديث أبي سعيد الخدري قال: "كنا نُخرِج إذ كان فينا رسول الله زكاة الفطر عن كل صغير، وكبير، حر، أو مملوك، صاعًا من طعام، أو صاعًا من أقط، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من تمر، أو صاعًا من زبيب" (متفق عليه).

ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: " فَرَضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم زَكَاةَ الْفِطْرِ، صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ". (متفق عليه).

ونقل ابن المنذر وابن القطان وغيرهما الإجماع على وجوب زكاة الفطر.

القدرة شرط لوجوب أداء زكاة الفطر

يُشترَط لوجوب أداء زكاة الفطر: الإسلام، والعقل، والحرية، كما يُشترط القدرة وذلك بالإجماع؛ كما نقل ابن المنذر. واختلف الفقهاء في حد القدرة؛ فذهب الحنفية إلى أنه ملْك النصاب، وذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة: إلى أن حد القدرة أن يكون عنده يوم العيد وليلته صاع زائد عن قوته وقُوت مَن تجب عليه نفقته، واستدلوا بحديث سهل بن الحنظلية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ النَّارِ"، فقالوا: يا رسول الله، وما يغنيه؟ قال: "أَنْ يَكُونَ لَهُ شِبَعُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَوْ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ" (مسند أحمد وسنن أبي داود).

والراجح هو رأي الجمهور؛ لأن فرض زكاة الفطر ورد مطلقًا ولم يُقيِّدها بغنًى أو فقر.

على مَن تجب زكاة الفطر؟

اتفق الفقهاء على أن المكلف القادر يخرج زكاة الفطر عن نفسه وجوبًا، ولكنهم اختلفوا في إخراجها عن غيره؛ فذهب الحنفية إلى أن صدقة الفطر متعلقة بالولاية والمؤنة؛ فكلّ مَن كان عليه

ولايته ومؤنته ونفقته فإنه تجب عليه صدقة الفطر فيؤديها عن أولاده الصغار، ولكن لا يجب عليه أن يؤديها عن أبيه وأمه لأنه لا ولاية له عليهما، ولا عن زوجته، ولا عن أولاده الكبار وإن كانوا في عياله، ولكنه لو أدى عنهم أو عن زوجته بغير أمرهم أجزأهم استحسانًا.

بينما ذهب جمهور الفقهاء (مالك والشافعي وأحمد) إلى أنه يُخرج زكاة الفطر عن نفسه، وعمن تجب عليه نفقته لقرابة، أو زوجية، فيخرج عن أصله (أبويه) وفرعه (أبنائه)، وعن زوجته، وعن كل من تجب عليه نفقته من المسلمين.

زكاة الفطر عن الجنين:

ذهب أحمد بن حنبل إلى استحباب إخراج زكاة الفطر عن الجنين إذا مضى على الحمل أربعة أشهر ولكنه لم يُوجبها، ولكن كافة الفقهاء اتفقوا على ألا تخرج زكاة الفطر عن الجنين، بل وقد نقل ابن المنذر الإجماع على أنه لا زكاة على الجنين في بطن أمه (المسألة رقم (١٣٣)).

وجوب زكاة الفطر بغروب شمس آخر يوم من رمضان:

ذهب الفقهاء إلى أن زكاة الفطر لها وقت محدد تؤدَّى فيه، فذهب الشافعية والحنابلة، وهو أحد القولين للمالكية إلى أن الوجوب هو بغروب شمس آخر يوم من رمضان، لحديث ابن عباس: "فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومَن أدَّاها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات" سنن أبي داود.

وجوب زكاة الفطر بطلوع فجر يوم العيد:

ذهب الحنفية والمالكية في قول لهم إلى أن وقت وجوب زكاة الفطر بطلوع فجر يوم العيد. واستدلوا بما رواه نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر، صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تُؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة. متفق عليه.

والشاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بزكاة الفطر أن تُـؤدَّى قبل خـروج الناس إلى الصلاة؛ فعُلمَ أن وقت وجوبها هو يوم الفطر؛ ولأن تسميتها صدقة الفطر، تـدلَ على أن وجوبها بطلوع فجر يوم الفطر؛ لأن الفطر إنما يكون بطلوع فجر ذلك اليوم، أما قبله فليس بفطر.

إخراج زكاة الفطر قبل وقت الوجوب

ذهب المالكية والحنابلة إلى أنه يجوز إخراج زكاة الفطر قبل وقتها بيومين؛ لقول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: كانوا يعطون صدقة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين لحديث نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وكان ابن عمر رضي الله عنهما: يُعْطِيهَا الَّذِينَ يَقْبَلُونَهَا وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ. صحيح البخاري.

والأفضل أن يُخرجها يوم العيد قبل الخروج إلى صلاة العيد، فإن تعذر ذلك أخرجها بعد رؤية هلال شوال، وإن أخذ برخصة الصحابة-رضي الله عنهم- وأخرجها قبل العيد بيوم أو يومين فلا تثريب عليه.

إخراج زكاة الفطر بعد وقت الوجوب

ذهب جمهور الفقهاء (من المالكية والشافعية والحنابلة) إلى جواز إخراج زكاة الفطر يوم العيد كله (اليوم الأول من شوال) بناء على تضعيف حديث ابن عباس: "…. ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات"، وهذا الحديث ضعيف آفته أبو يزيد الخولاني، فضلاً عن أن الحديث فيه إدراج فقوله: "من أداها قبل الصلاة، فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة، فهي صدقة من الصدقات"؛ فهذا من قول ابن عباس رضي الله عنه، وليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكن يُلاحظ أن زكاة الفطر لا تسقط بخروج وقتها؛ لأنها وجبت في ذمته لمستحقيها، فهي

دَيْن لهم لا يسقط إلا بـالأداء؛ لأنها حق للعباد لا يسقط إلا بــالأداء، أمـا حق الله ﴿في﴾ التأخير عن وقتها فلا يُجْبَر إلا بالاستغفار والتوبة، فإن أخَّرها أداءً فقد وجب عليه إخراجها قضاءً؛ مع التوبة والاستغفار. فمذهب جماهير الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة أن مَن أدَّاها بعد يوم العيد بدون عذر كان آثمًا، ولكنه يجب عليه إخراجها لانشغال ذمته بها، فلم تسقط بالموت كدين الآدمي.

مقدار زكاة الفطر بالصاع

اتفق الفقهاء على أن الواجب إخراجه في زكاة الفطر صاع من جميع الأصناف التي يجوز إخراج الفطرة منها عدا القمح والزبيب، فقد اختلفوا في المقدار فيهما، فذهب المالكية والشافعية والحنابلة، إلى أن الواجب إخراجه في زكاة الفطر هو صاع من كل صنف، واستدلوا على ذلك بحديث عبد الله بْن عُمَرَ السابق.

وبحديث أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: "كُنَّا نُخْرِجُ إِذْ كَانَ فِينَا رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم زَكَاةَ الْفِطْرِ عَنْ كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ حُرٍّ أَوْ مَمْلُوكٍ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ...." (متفق عليه). ولأن الأشياء التي ثبت ذكرها في حديث أبي سعيد لما كانت متساوية في مقدار ما يُخرَج منها مع ما يخالفها في القيمة؛ دلَّ على أن المراد إخراج هذا المقدار من أي جنس كان.

زكاة الفطر صاع من كل صنف إلا في البرّ فنصف صاع

ذهب أبو حنيفة وابن تيمية وابن القيم، إلى أن الواجب إخراجه في زكاة الفطر هو صاع من كل صنف، إلا في البُرّ (الحنطة) فيجزئ نصف صاع، واستدلوا على ذلك بحديث أبي سعيد الخدري "... فلم نزل نخرجه حتى قدم علينا معاوية أبن أبي سفيان حاجًا، أو معتمرًا فكلم الناس على المنبر، فكان فيما كلم به الناس، أن قال: إني أرى أن مُدَّيْن من سمراء الشام، تعدل صاعًا من تمر، فأخذ الناس بذلك. قال: أبو سعيد فأما أنا فلا أزال أخرجه، كما كنت أخرجه أبدًا ما عشت" متفق عليه.

الأجناس التي تخرج منها زكاة الفطر

زكاة الفطر تخرج من غالب قوت البلد:

ذهب الشافعية إلى أن زكاة الفطر تخرج من غالب قوت البلد، فلا تقتصر على ما ورد النص عليه في الحديث (الشعير والتمر والزبيب والقمح)، بل تخرج من الأرز والذرة والعدس ونحوه مما يُعتبر قوتًا. وأما فرض النبي صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير فلأن هذا كان قوت أهل المدينة، ولو كان هذا ليس قوتهم بل يقتاتون غيره لم يُكلِّفهم أن يُخرجوا مما لا يقتاتون قياسًا على الكفارات، ولذا قال تعالى في الكفارة: "مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ" (سورة المائدة، الآيـة ٨٩)، وقد توسع البعض في هذه المسألة، فذكر النووي في المجموع أن جمهور العراقيين من الشافعية أجازوا إخراج الجبن في زكاة الفطر قياسًا على الأقط؛ لأنـه أكمل منه، ولكن أنكر عليهم الماوردي والرافعي، وقالوا: لا يجزئه، وهو ما قرره النووي وصححه؛ لأن الأقط ثابت بالنص، ونقل النووي عن الماوردي قوله: "وكذا لو كان بعض أهل الجزائر أو غيرهم يقتاتون السمك والبيض فلا يجزئهم بلا خلاف"، كما قرر عدم جواز إخراج اللحم في زكاة الفطر قولا واحدًا...." المجموع شرح المهذب: ج٦، ص١٣١.

زكاة الفطر تكون من العشرات:

ذهب المالكية إلى أن زكاة الفطر تخرج من غالب قوت البلد، ولكن اقتصر المالكية على المعشرات وهي تسعة أصناف فقط هي: القمح، والشعير، والزبيب؛ والتمر، والأرز، والدخن؛ والذرة، والأقط، والسلت (نوع من الشعير)، ولا يجزئ الإخراج من غيرها. بلغة السالك ج١، ص٤٣٧.

زكاة الفطر تكون من الأصناف التي وردت بالأحاديث:

ذهب الحنابلة إلى أن زكاة الفطر تخرج من

الأصناف التي وردت بحديث أبي سعيد الخدري، فتخرج من البر، أو التمر، أو الزبيب، أو الشعير، أو الأقط، ويُخيَّر بين هذه الأشياء؛ لأنها جاءت منصوصًا عليها في الحديث، فلا يجوز العدول عن هذه الأصناف مع القدرة عليها سواء كان المعدول إليه قوت بلده أو لم يكن.

زكاة الفطر تكون من أربعة أصناف او قيمتها:

ذهب الحنفية إلى أن زكاة الفطر تخرج من أربعة أشياء: الحنطة والشعير والتمر والزبيب، أو قيمتها دراهم، وما سوى هذه الأشياء الأربعة المنصوص عليها من الحبوب كالعدس والأرز، أو غير الحبوب كاللحم والجبن، فتعتبر قيمته بقيمة الأشياء المنصوص عليها، فإذا أراد المتصدق أن يخرج صدقة الفطر من العدس مثلًا، فيقوم نصف صاع من بُرّ أو صاع من تمر، ثم يخرج من العدس ما يوازي هذه القيمة من النقود (الدراهم). تحفة الفقهاء ج١، ص٣٣٧.

حكم اخراج القيمة في زكاة الفطر:

اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

القول الأول: لا يجزئ إخراج القيمة في زكاة الفطر

ذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة: إلى وجوب إخراج زكاة الفطر عينًا، وأنه لا يجزئ إخراج القيمة في زكاة الفطر، واستدلوا على ذلك بأن الشرع نص على الواجب في زكاة الفطر في حديث أبي سعيد الخدري، وفي حديث عبد الله بن عمر: حيث فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر صاعًا من الأصناف التي وردت بهذه الأحاديث، فمَن عدَل إلى القيمة فقد ترك المفروض. فلا يجوز العدول عنه كما لا يجوز في الأضحية، وكما لا يجوز في الكفارة، كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "فرض زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير..."، ولم يذكر القيمة ولو جازت لبينها فقد تدعو الحاجة إليها، فالنبي صلى الله عليه وسلم فرضها من أصناف متعددة مختلفة القيمة، فدل على إرادة الأعيان، ولو كانت القيمة معتبرة لفرضها من جنس واحد، أو ما يعادله قيمة من الأجناس الأخرى.

كما أن زكاة الفطر عبادة مفروضة من جنس معين، فلا يجزئ إخراجها من غير الجنس المعين، كما لو أخرجها في غير وقتها المعين. وأيضًا فإن إخراج زكاة الفطر من الشعائر، فاستبدال المنصوص بالقيمة يؤدي إلى إخفائها وعدم ظهورها. وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: كنا نُخرجها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعًا من طعام، وكان طعامنا التمر والشعير والزبيب والأقط، والصحابة-رضوان الله عليهم- لم يكونوا يخرجونها من غير الطعام، وتتابعهم على ذلك دليل على أن المشروع إخراجها طعامًا.

كما وردت آثار عن السلف بكراهية إخراج الدرهم في زكاة الفطر، فقد ورد عن عطاء، أنه كره أن يعطي في صدقة الفطر ورقًا. المصنف لابن أبي شيبة ح١٠٣٧٢.

القول الثاني: يجزئ إخراج القيمة في زكاة الفطر

ذهب الحنفية والثوري وعمر بن عبد العزيز والحسن البصري والظاهر من مذهب البخاري، وهو رواية عن أحمد إلى أنه يجوز إخراج القيمة، دراهم أو دنانير أو فلوسًا، ولا يختص دفع القيمة عند الحنفية بزكاة الفطر فقط، وانما يرون دفع القيمة في الزكاة بأنواعها المختلفة، وفي العشر والخراج، وفي زكاة الفطر، بل وفي النذر والكفارات. (حاشية الطحطاوي ص: ٧٢٤ و٧٢٥).

وحجتهم في ذلك ما ورد عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه كتب له فريضة الصدقة التي أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم: "مَن بَلَغَتْ عِنْدَهُ مِنَ الإبِلِ صَدَقَةُ الجَذَعَةِ، وليسَتْ عِنْدَهُ جَذَعَةٌ، وعِنْدَهُ حِقَّةٌ، فإنَّها تُقْبَلُ منه الحِقَّةُ، ويَجْعَلُ معها شاتَيْنِ إن اسْتَيْسَرَتا له، أوْ عِشْرِينَ دِرْهَمًا، ومَن بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةُ الحِقَّةِ،

وليسَتْ عنْدَهُ الحقَّةُ، وعنْدَهُ الجَذَعَةُ فإنَّها تُقْبَلُ منه الجَذَعَةُ، ويُعْطيه المُصَدِّقُ عشْرينَ درْهَمًا أوْ شاتَيْنِ، ومَن بَلَغَتْ عنْدَهُ صَدَقَةُ الحقَّةِ، وليسَتْ عنْدَهُ إلَّا بنْتُ لَبُونٍ، فإنَّها تُقْبَلُ منه بنْتُ لَبُونٍ ويُعْطي شاتَيْنِ أوْ عشْرينَ درْهَمًا، ومَن بَلَغَتْ صَدَقَتُهُ بنْتَ لَبُونٍ وعنْدَهُ حقَّةٌ، فإنَّها تُقْبَلُ منه الحقَّةُ ويُعْطيه المُصَدِّقُ عشْرينَ درْهَمًا أوْ شاتَيْنِ، ومَن بَلَغَتْ صَدَقَتُهُ بنْتَ لَبُونٍ وليسَتْ عنْدَهُ، وعنْدَهُ بنْتُ مَخاضٍ، فإنَّها تُقْبَلُ منه بنْتُ مَخاضٍ ويُعْطي معها عشْرينَ درْهَمًا أوْ شاتَيْنِ". صحيح البخاري: ١٤٥٣.

والشاهد أنه إذا جاز إجزاء ابن اللبون عن بنت المخاض واجزاء الحقة مع عشرين درهما عن الجذعة، ففي هذا اعتبار القيمة. كما يستفاد من حديث أنس أنه إذا ثبت جواز أخذ القيمة في الزَّكاة المفروضة في الأعيان، فجوازها في الزَّكاة المفروضة على الرِّقاب (زكاة الفطر) أولى.

كما احتجوا بحديث ابن عمر قال: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر، وقال: " أَغْنُوهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ" (سنن الدارقطني ح٢١٣٣). ووجه الاستدلال أن المقصود بأداء الزكاة إغناء الفقير والإغناء يحصل بأداء القيمة كما يحصل بأداء العين، وربما سد الخلة بأداء القيمة أظهر. ولكن هذا الحديث ضعيف.

كما استدل القائلون بجواز إخراج القيمة في زكاة الفطر بما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عوف بن أبي جميلة، قال: سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز يقرأ إلى عدي بالبصرة: "يؤخذ من أهل الديوان من أعطياتهم، عن كل إنسان نصف درهم". (المصنف لابن أبي شيبة ح١٠٣٦٨).

ووجه الاستدلال أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وهو خليفة المسلمين يأمر عامله في البصرة أن يأخذ من كل إنسان نصف درهم عن صدقة الفطر، وهذا لم يكن مجرد رأي شخصي لعمر بن عبدالعزيز، وإنما جعله أمرًا عامًّا، وأَمَر واليه أن يأخذ من أهل ذلك البلد نصف درهم على صدقة الفطر. وهذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن معمر أنه قال: كتب عمر بن عبد العزيز على كل اثنين درهم- يعني زكاة الفطر- قال معمر: "هذا على حساب ما يعطى من الكيل" (ح٥٧٧٨). كما ورد عن أبي إسحاق (عمرو بن عبد الله بن عبيد) أنه قال: وهم يعطون في صدقة رمضان الدراهم بقيمة الطعام" (المصنف لابن أبي شيبة ح١٠٣٧١).

كما ورد عن الحسن البصري أنه قال: "لا بأس أن تعطي الدراهم في صدقة الفطر". كما استدل القائلون بجواز إخراج القيمة في زكاة الفطر بما رواه طاوس قال معاذ رضي الله عنه لأهل اليمن: ائتوني بعرض ثياب خميص أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وهذا الأثر من معلقات البخاري، إلا أن إيراده في معرض الاحتجاج به يقتضي قوته عنده، وكأنه عضده عنده الأحاديث التي ذكرها في الباب.

ووجه الاستدلال أن معاذًا كان ينقل الصدقات إلى المدينة، فيتولى رسول الله قسمتها، فإن كانت هذه الصدقة نقلها إلى المدينة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم؛ فقسمها بين فقراء المدينة، فلا محالة أنه قد أقره على جواز أخذ البدل فى الزكوات، لأنه قد علم صلى الله عليه وسلم أن الزكوات ليس فيها ما هو من جنس الثياب، وأنها لا تُؤخذ إلا على وجه البدل، فصار إقراره له على فعله دلالة على الجواز (شرح صحيح البخاري: ابن بطال ج٣، ص٤٤٨).

وذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر صاعًا من تمر،

أو بر أو شعير أو زبيب.. فذكر هذه الأنواع ليس للحصر، وإنما هو للتيسير ورفع الحرج، فإخراج تلك الأنواع المنصوصة أيسر من إخراج غيرها من الأموال، فالشرع أوجب الزَّكَاة في عين الحب، والتمر والماشية، والنقدين، وفي عهد النبوة أمر الناس بإخراج الطعام ليتمكنوا من أداء ما فرض عليهم، ولا يحصل لهم فيه عسر ولا مشقة؛ لأن النقود كانت نادرة الوجود في تلك الأزمان ببلاد العرب ولا سيما البوادي منها، وخصوصًا الفقراء، فلو أمر بإعطاء النقود في الزَّكَاة المفروضة على الرؤوس لتعذر إخراجها على الفقراء بالكلية، ولتعسر على كثير من الأغنياء الذين كان غناهم بالمواشي والرقيق، أما الطعام فإنه متيسر للجميع، ولا يخلو منه منزل إلا من بلغ به الفقر منتهاه، فكان من أعظم المصالح، وأبلغ الحكم العدول عن المال النادر العسر إخراجه إلى الطعام المتيسر وجوده، ولأن مراعاة المصالح من أعظم أصول الشريعة، وحيثما دارت تدور معها، فالشريعة كلها مبنية على المصالح ودرء المفاسد، وفي زماننا هذا توجد النقود بوفرة ويتحقق بها الغنى، فلا بأس من إخراج القيمة.

ويرى الحنفية أن إخراج القيمة أفضل لقضاء حاجة الفقير، وذلك إن كان الزمن زمن خصب، وإن كان زمن شدة فالحنطة والشعير وما يؤكل أفضل من الدراهم. رد المحتار على الدر المختار ج٢، ص٣٦٦.

الراجح في جواز إخراج القيمة في زكاة الفطر

نشير إلى أن المسائل الاجتهادية التي اختلف فيها الأئمة وتعددت فيها الآراء يسوغ فيها الاختلاف، ولا ينعقد عليها الولاء والبراء، وليست مجالاً للطعن والانتقاص، وأن من كان يسوغ له التقليد كحال أغلب الناس؛ فيجوز له أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المتبوعة، المتلقاة بالقبول لدى الأمة.

وعليه، فمن ثَم فمن أخذ بقول الجمهور وأخرجها عينًا فلا يُنكر عليه ولا يُدعى إلى إخراجها نقودًا، ولا يسوغ الإنكار على من يخرج زكاة الفطر عينًا، وهو فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الكرام، وجماهير الأمة خلفًا عن سلف.

ومن أخذ بقول الحنفية في هذه المسألة والذين أجازوا إخراج القيمة في الزكاة، ومنها زكاة الفطر، فلا يُنكر عليه، ولا يسوغ بحال أن يزعم زاعم بأن من أخرج زكاة الفطر نقودًا لا تجزئه، وأن عبادته مردودة عليه بزعمه، وأنه يلزمه إعادة إخراجها مرة أخرى عينًا. وخاصة وقد قال بقولهم العديد من سلف هذه الأمة كالحسن البصري، وسفيان الثوري، وعمر بن عبدالعزيز، وأشهب وابن القاسم من المالكية، وهو الظاهر من مذهب البخاري في صحيحه، ولهذا قال ابن رشيد: وافق البخاري في هذه المسألة الحنفية مع كثرة مخالفته لهم، لكن قاده إلى ذلك الدليل. (عمدة القاري ج٩، ص٤).

وما نراه راجحًا في هذه المسألة هو أن الأصل في الزكوات إخراجها على الوجه الذي ورد به النص ولا يعدل عنه إلى إخراج القيمة إلا لضرورة أو حاجة أو مصلحة راجحة فيجزئ حينئذ، كما لو طلبها الفقير نقودًا، أو رأى الإمام أن يجمعها نقودًا، أو دعت لذلك مصلحة الآخذ، كأن تخرج في مدن يستنكف أفرادها أخذ الحبوب، أو لا ينتفعون به كالقمح؛ لأنه لم يَعُد هناك طحن ولا خبز في البيوت، وهو ما يُعدّ أخذه عبئا عليهم فلا ينتفعون به، ومثله الشعير، جاز إخراج القيمة، فإذا لم تكن حاجة ولا مصلحة راجحة تخرج زكاة الفطر عينًا؛ والله تعالى أعلم.

فضل التسبيح والتحميد

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم".

هذا آخر حديث أورده البخاري في صحيحه الجامع، فهو خاتمة صحيحه.

وقد تبعه بعض المصنفين في الحديث في جعله خاتمة كتبهم، ومن هؤلاء الحافظ المنذري ختم به كتابه الترغيب والترهيب، ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني ختم به كتابه بلوغ المرام من أدلة الأحكام.

أخرج البخاري هذا الحديث في ثلاثة مواضع من صحيحه: هذا أحدها في باب قول الله تعالى «ونَضعُ المَوازينَ القِسْطَ ليوم القيامة»، والثاني في كتاب الدعوات باب فضل التسبيح، ولفظه: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده"، والثالث في كتاب الأيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم، فصلى أو قرأ أو سبح أو حمد أو هلل فهو على نيته، ولفظه: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".

ورواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء من صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".

وأخرجه الترمذي في أبواب الدعاء من جامعه باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد ولفظه: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم". وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب الأدب باب فضل التسبيح ولفظه: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".

ورواه الإمام أحمد في المسند بمثل إسناده ومتنه عند البخاري في كتاب الأيمان والنذور ولفظه: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".

ورغم أن الحديث مجمع على صحته متفق عليه إلا أنه حديث غريب كما قال الترمذي وهو من أمثلة الغريب المطلق أو الفرد المطلق، فقد تفرد بروايته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبو

هريرة، وتفرد بروايته عن أبي هريرة أبو زرعة، وتفرد به عن أبي زرعة عمارة بن القعقاع، وتفرد به عن عمارة محمد بن فضيل، ثم كثر رواته عن محمد بن فضيل.

وذكر الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث أنه لم ير هذا الحديث إلا من طريق محمد بن فضيل بهذا الإسناد. ولما ذكر تخريج الترمذي له وقوله عقبه: حسن صحيح غريب قال: قلت وجه الغرابة فيه ما ذكرته من تفرد محمد بن فضيل وشيخه وشيخ شيخه وصحابيه انتهى.

ومثل هذا الحديث في ذلك الحديث الذي جعله البخاري رحمه الله فاتحة كتابه الصحيح وهو حديث: "إنما الأعمال بالنيات"، فإنه فرد مطلق أيضًا، تفرد بروايته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمر ابن الخطاب وتفرد بروايته عن عمر بن الخطاب علقمة بن وقاص الليثي، وتفرد به عن علقمة محمد بن إبراهيم التيمي، وتفرد به عن محمد بن إبراهيم يحي بن سعيد الأنصاري، ثم اشتهر عن يحيى ابن سعيد؛ ففاتحة صحيح البخاري فرد مطلق وخاتمته فرد مطلق.

الشرح:

قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن)، كذا في هذه الرواية بتقديم "حبيبتان" وتأخير "ثقيلتان"، وقد تقدم في الدعوات وفي الأيمان والنذور بتقديم " خفيفتان " وتأخير " حبيبتان " وهي رواية مسلم وكذا عند الباقين ممن تقدم ذكره.

وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " كلمتان ": إطلاق كلمة على الكلام، وهو مثل كلمة الإخلاص وكلمة الشهادة.

كلمتان: خبر مقدم مبتدؤه.. سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

والنكتة في تقديم الخبر تشويق السامع إلى المبتدأ، وكلما طال الكلام في وصف الخبر حسن تقديمه لأن كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقًا؛ قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري.

وأوصاف الخبر الثلاثة: حبيبتان إلى الرحمن.. وخفيفتان على اللسان.. وثقيلتان في الميزان

الأول: فعيلة بمعنى مفعولة أي: حبيبة بمعنى محبوبة، والثاني والثالث: فعيلة بمعنى فاعلة.

- قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "حبيبتان إلى الرحمن"

قال الحافظ ابن حجر: وخص لفظ الرحمن بالذكر لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل.

- وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان"

قال الحافظ: وصفهما بالخفة والثقل لبيان قلة العمل وكثرة الثواب.

- وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "ثقيلتان في الميزان" هو من نصوص الوعد التي يعول عليها المرجئة معرضين عن نصوص الوعيد، ويقابلهم الخوارج والمعتزلة الذين يغلبون نصوص الوعيد ويغفلون عن نصوص الوعد.

ومذهب أهل السنة والجماعة وسط بين الطرفين المتناقضين، فهم يأخذون بنصوص الوعد والوعيد معًا، يجمعون بين الخوف والرجاء، ولا يقولون كما تقول المرجئة: لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ولا يقولون كما تقول الخوارج والمعتزلة بخروج مرتكب الكبيرة من الإيمان في الدنيا وخلوده في النار في الآخرة، وإنما يرون أن العاصي مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فليس عندهم من أهل الإيمان المطلق (الكامل) ولا يمنعونه مطلق الاسم، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، هذا حكمه عندهم في الدنيا، أما في الآخرة فكل ذنب دون الشرك فأمر صاحبه إلى الله إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول وهلة، وإن شاء عذبه في النار عقوبة لجريمته ثم يخرجه منها ويدخله الجنة، فمآله إلى الجنة ولا بد.

ولهذا يجمع الله بين الترغيب والترهيب في كتابه العزيز فيقول: «نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ»، ويقول «إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ»، ويقول «اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»: يرشد بذلك عباده إلى أن يخافوه ويرجوه، فلا يأمنون مكر الله لرجائهم المجرد عن الخوف، ولا يقنطون من رحمته لخوفهم المجرد عن الرجاء، بل كما قال الله تعالى عن أوليائه «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ»، وقال تعالى «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ».

ونقل الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث عن ابن بطال أنه قال: هذه الفضائل الواردة في فضل الذكر إنما هي لأهل الشرف في الدين والكمال كالطهارة من الحرام والمعاصي العظام، فلا تظن أن من أدمن الذكر وأصر على ما شاءه من شهواته وانتهك دين الله وحرماته أنه يلتحق بالمطهرين المقدسين ويبلغ منازلهم بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح. انتهى.

ويرد على هذا بأن من أدمن ذكر الله عز وجل وظل لسانه رطبًا من ذكر الله لا يمكن أن يكون ممن أصر على ما شاءه من شهواته وانتهك دين الله وحرماته لأن إدامة العبد ذكر الله عز وجل يطرد الشيطان ويُرضي الرحمن ويزيل الهم والغم ويجلب للقلب الفرح والسرور ويقوى القلب والبدن وينور الوجه والقلب ويكسو الذاكر مهابة ونضرة ويورثه محبة الله ويورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه-ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان- ويورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله عز وجل ويورثه القرب منه عز وجل ويفتح له أبواب المعرفة ويورثه الهيبة والإجلال لربه عز وجل ويورثه ذكرَ الله تعالى له.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأرضاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟، قال: ذكر الله. رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

وهو وصيته صلى الله عليه وآله وسلم لمن كثرت عليه شعائر الإسلام: فقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا رسول الله! إن شعائر الإسلام قد كثرت عليَّ فأخبرني بأمر أتشبَّثُ به. قال: لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله. رواه الترمذي وصححه الألباني.

- قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" المعنى أنزه الله عن كل ما لا يليق به. قال الحافظ في الفتح: وسبحان اسم منصوب على أنه واقع موقع المصدر لفعل محذوف تقديره: سبحت الله سبحانا... كسبحت الله تسبيحًا، ولا يستعمل غالبًا إلا مضافًا وهو مضاف إلى المفعول أي سبحت الله.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "وبحمده" قيل الواو للحال، والتقدير أسبح الله متلبسًا بحمدي له من أجل توفيقه، وقيل عاطفة، والتقدير أسبح الله وأتلبس بحمده.

- قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم".

وهاتان الكلمتان معناهما جاء في ختام دعاء أهل الجنان لقوله تعالى: «دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»: قال الشيخ سراج الدين البلقيني في كلامه على مناسبة أبواب صحيح البخاري: لما كان أصل العصمة أولًا وآخرًا هو توحيد الله فختم بكتاب التوحيد، وكان آخر الأمور التي يظهر بها المفلح من الخاسر ثقل الموازين وخفتها فجعله آخر تراجم الكتاب، فبدأ بحديث "الأعمال بالنيات" وذلك في الدنيا، وختم بأن الأعمال توزن يوم القيامة، وأشار إلى أنه إنما يثقل منها ما كان بالنية الخالصة لله تعالى، وفي الحديث الذي ذكره ترغيب وتخفيف وحث على الذكر المذكور لمحبة الرحمن له والخفة بالنسبة لما يتعلق بالعمل والثقل بالنسبة لإظهار

الثواب، وجاء ترتيب هذا الحديث على أسلوب عظيم وهو أن حبّ الرب سابق، وذكر العبد وخفة الذكر على لسانه تالٍ، ثم بين ما فيهما من الثواب العظيم النافع يوم القيامة. انتهى ملخصًا.

أحاديث أخر في فضل الكلمة: سبحان الله وبحمده

عن أبي ذرّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل: أيُّ الكلام أفضل؟ قال: "ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده".

وفي لفظ أنّ أبا ذرّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبرك بأحبّ الكلام إلى الله؟ قلتُ: يا رسول الله أخبرني بأحبّ الكلام إلى الله. قال: إنّ أحبّ الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "مَن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرّة حُطّت خطاياه وإن كانت مثل زَبَد البحر".

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنّ من قالها في الصّباح مائة مرّة وفي المساء مائة مرّة، لم يأتِ أحدٌ يومَ القيامة بأفضلَ مما جاء به، إلاّ مَن قال مثل ذلك وزاد عليه.

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن قال حين يُصبحُ وحين يُمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرّة لم يأتِ أحدٌ يومَ القيامة بأفضلَ مما جاء به، إلاّ أحدٌ قال مثل ما قال أو زاد عليه".

لماذا اقترن التسبيح بالتحميد؟

قال ابن تيمية: (والتحميد مقرون بالتسبيح وتابع له)، وله رسالة لطيفة بعنوان: (قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، وبيان اقتران التهليل بالتكبير والتسبيح بالتحميد)؛ بيّن فيها أن (التسبيح والتحميد يجمع النفي والإثبات: نفي المعايب وإثبات المحامد، وذلك يتضمن التعظيم)؛ وقال: (التسبيح يتضمن التنزيه المستلزم للتعظيم والحمد يتضمن إثبات المحامد المتضمن لنفي النقائص).

وقال ابن كثير: في تفسير قوله تعالى ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الصافات: ١٨٠-١٨٢).

ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص، ويستلزم إثبات الكمال، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال، ويستلزم التنزيه من النقص، قرن بينهما في مواضع كثيرة من القرآن.

وهذا الكلام موافق لما قاله ابن تيمية، وبكلامهما يتبين سبب اقتران التسبيح بالتحميد في أكثر المواضع من الكتاب والسنة، ويتبين أن كلا من التسبيح والتحميد يستلزم الآخر إذا أفرد، وعند الاقتران يعطي كل خاصيته، ويدلان حينئذٍ على إثبات الكمالات ونفي النقائص في حق الله تعالى على الإجمال.

وبهذا يعلم ما في صيغة التسبيح المقرون بالتحميد من دلالة عظيمة في عقيدة التوحيد، وما في الجمع بين التسبيح والتحميد في ذكر الله كما أشار بعض المفسرين عند تفسير قول الله تعالى ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (الروم: ١٧-١٨).

إلا أن الله تعالى ذكر الحمد معترضًا بين أوقات التسبيح للاعتناء بشأنه، والإشعار بأن حقهما أن يجمع بينهما.

وإذا علم هذا، فإن الجمع بين التسبيح والتحميد يكون بالاعتقاد وبالقول. أما الجمع بينهما في الاعتقاد، فيتم باعتقاد معناهما مع تطبيق ذلك واقعًا، بإثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقائص والمثيل، وأما الجمع بينهما في القول، فيحصل إما بصيغة (سبحان الله والحمد لله)، وإما بصيغة (سبحان الله وبحمده)، أو (سبحانك وبحمدك)، ونحو ذلك مما وردت به السنة والآثار.

والحمد لله رب العالمين.

وصايا الآباء للأبناء

إعداد أ.عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا شك أن الوصية في الدين، والتناصح بين الناس عبادة جليلة، ولكنها مع الأسف مهجورة في كثير من البيوت، ومنسية عند كثير من الأُسَر، وشأن الوصية مهم وجليل، ولكن أعجب ما في الأمر أن وسائل الإعلام المعاصرة من إذاعة وتليفزيون وصحافة وغيرها، قزّمت من شأن الوصية، وأضعفت من دورها، حتى انزوى دورها في نوافذ ومجالات الدنيا فقط، فنشأ الصغير وشاب الكبير على الوصية بالدنيا عملاً وحرصًا وأمنًا، وصار الأب والأم في كثير منهم لا يوصي أبناءه إلا بشيء من شئون الدنيا، وقد عاب الله على أقوام لا يذكرون إلا الدنيا ولا يسألون ربهم سواها، فقال جل وعلا: «فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ» (البقرة: ٢٠٠- ٢٠١).

وهذا ذم في الحقيقة وعيب لمن لا همَّ له إلا الدنيا، فهناك فريق من الناس همّه الدنيا فقط، فهو حريص عليها، مشغول بها. وقد كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف في الحج فيقولون: اللهم اجعله عام غيث وعام خصب وعام ولادٍ حسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئًا.. وورد عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أن الآية نزلت في هذا الفريق من الناس.. ولكن مدلول الآية أعم وأدوم.. فهذا نموذج من الناس مكرور في الأجيال والبقاع. النموذج الذي همه الدنيا وحدها. يذكرها حتى حين يتوجه إلى الله بالدعاء؛ لأنها هي التي تشغله، وتملأ فراغ نفسه، وتحيط عالمه وتغلقه عليه.. هؤلاء قد يعطيهم الله نصيبهم في الدنيا- إذا قدر العطاء- ولا نصيب لهم في الآخرة على الإطلاق!

وهناك فريق آخر موصول بالله، يريد الحسنة في الدنيا ولكنه لا ينسى نصيبه في الآخرة فهو

يقول: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»؛ فهم يطلبون من الله الحسنة في الدارين، ولا يحددون نوع الحسنة- بل يدعون اختيارها لله، والله يختار لهم ما يراه حسنة وهم باختياره لهم راضون.. وهؤلاء لهم نصيب مضمون لا يبطئ عليهم. فالله سريع الحساب.

إن هذا التوجيه الإلهي يؤكد أن مَن اتجه إلى الله وأسلم له أمره، وترك لله الخيرة، ورضي بما يختاره له الله، فلن تفوته حسنات الدنيا ولا حسنات الآخرة. ومن جعل همه الدنيا فقد خسر في الآخرة كل نصيب.

وفي مقابل صورة الدنيا والوصية بها والحرص عليها، ذكر الله لنا وصية لقمان لابنه بوصايا جامعة، تربوية نافعة، قال تبارك وتعالى: «يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» (لقمان: ١٦- ١٩).

فهي كما نرى وصايا جامعة، في العقيدة كما في الآية الأولى في إشارتها لوحدانية الله وقدرته المطلقة فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض، وهو اللطيف الذي يجري رحمته تحت أستار الخفاء، وأنه هو الخبير الذي خَبَرَ مخلوقاته في شتى شئونهم: عددًا وقدرًا وحياة وموتًا، فيوصي ابنه بتعظيم الله والإيمان بقدرته غير المحدودة، ومن ثم طاعته واتباع منهجه المعظم.

وفي الآية الثانية يوصيه بأمهات العبادات من إقامة الصلاة والخضوع فيها والخشوع، وألا يكتفي بالصلاح في نفسه حتى يدعو غيره، وأن يحمل مشعل الإصلاح في مجتمعه فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصبر على ذلك إن مسه من ورائه أذى من الخلق.

ثم يوصيه في الآية الثالثة بالبعد عن مساوئ الآداب العامة في المجتمع، وذلك بعدم احتقار الغير ولا التكبر على الناس، والاعتدال في عواطفه ومشاعره، وعدم الفخر المطغي ولا التكبر المزري وألا يكون معجبًا بنفسه مزريًا على الآخرين، والتخلص من هذه المساوئ لا بد له من علم وعدل، علم بالنفس والآخرين والعدل مع النفس وللآخرين.

ثم يوصيه في الآية الرابعة بالتوسط والاعتدال ومراعاة أعين الناس وسمعهم، فلا يمشي مشية المضطرب العجول ولا مشية المائع الكسول، وألا يحدث تلوثًا سمعيًا ولا ضوضاء يؤذي الناس بصوته العالي، ولا يشق عليهم بصوته الخفيض غير المسموع، بل التوسط في الأمور والاعتدال في الأخلاق مفتاح لمحبة الخالق وقبول المخلوقين.

أمثلة للوصايا المعاصرة:

صار كثير من الآباء يحرصون على وصية أبنائهم بالدنيا، فنشأ كثير من الصغار على حفظ أمثال شعبية وأقوال قديمة على أنها مسلمات وقواعد في الحياة، فبعض الآباء يذكر ابنه بين الحين والآخر بأن من معه قرش يساوي قرشًا، فيغرس فيه من صغره الميزان المالي لوزن الناس، فلا عجب أن يعجب بخاله فلان دون عمه الآخر لأنه طبق المثل الذي حفظه من أسرته على أقاربه، وكان الأولى أن تنصرف عناية الآباء إلى إرشاد أبنائهم إلى الميزان الأخروي في النظر للأمور «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ».

وآخر يوصي ابنه ويسمعه كثيرًا يذكر بأن الأقارب عقارب، فينشأ مبتور الصلات الاجتماعية كارهًا لأقاربه، وآخر يذكر الزوجة أو النساء عمومًا أمام أولاده بأوصاف غير مقبولة، وبكلمات حق يُريد بها باطلاً، كأن يقول لهم مثلاً عن النساء: ناقصات عقل ودين، هكذا يسوقها لهم جملة عامة ناسبًا إياها إلى الشرع دون وضعها في أطرها وضوابطها الشرعية، من أن نقصان العقل إنما هو في أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل،

وأن نقصان الدين يتمثل في كونها تظل فترة من عمرها لا تصلي وذلك لعذر الحيض والنفاس، وأنهن معذورات في ذلك.

وآخر يوصي أبناءه بأن من شتمك اشتمه، ومن ضربك اضربه، ومن.. ومن.. دون توجيه أو تفصيل.. وأمر تلك الوصايا يطول..

وهناك بعض الآباء يهتمون بجسد الأبناء وتغذيتهم أكثر من توجيههم لخيري الدين والدنيا، فتراه لا يوصي الأبناء ولا أمهم إلا بحسن تغذيتهم، والقيام على رعاية أجسامهم حتى تنمو، ولكنها تتضخم في أجساد ثمينة وعقول صغيرة.

ومن الأمور المهمة أن بعض الآباء يعتقد أنه بمجرد زواج ابنته، فإن حق وصيتها ونصيحتها قد زال من عليه، وأنها في عصمة زوج ينصحها ويوجهها حتى لو نصحها بباطل أو وجهها إلى محرم، تراهم يقولون: هي مع زوجها ويسلتون أيديهم من النصيحة لها أو وصيتها وتوجيهها، وهذا خطأ فالمعيار في الوصايا هي الوصايا الشرعية المقبولة.

تنبيهات في أمر الوصية

إن كثيرًا من الوصايا السابقة قد تكون مفيدة ونافعة إذا ما انضم لها أخواتها، من المقيدات والمحفزات، فليس عيبًا أن يوصي الآباء أبناءهم من عيوب بعض الأقارب وأهمية الحرص على المال في غير بخل، وضرورة التحصيل الدراسي وأهمية القوة الجسدية، كل هذه الوصايا لا حرج فيها، ولكن الأهم من ذلك كلها أن يحرص الآباء على دين وخُلق أبنائهم، وحسن توجيههم للخير وغرسه فيهم غرسًا.

إن وصايا الآباء للأبناء عبادة أمر الله بها ضمن جماعة المؤمنين فإذا كنا مأمورين بإيصاء الآخرين فإن أقربهم حقًّا عليهم وآكدهم في هذه الحقوق الأهل والأبناء، قال تبارك وتعالى: «وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ».

ونقلت لنا كتب السنة شيئًا من وصايا المصطفى لأبنائه، فمن ذلك وصيته لابنته فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيد قَالَ: كُنَّا عنْدَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَأَرْسَلَتْ إليه إحْدَى بَنَاته تَدْعُوهُ وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا- أَو ابْنًا لَهَا- فِي المَوْت فَقَالَ للرَّسُول: «ارْجِعْ إليها فَأَخْبِرْهَا إنَّ للَّه مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيءٍ عنْدَهُ بأَجَلٍ مُسَمًّى فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» (متفق عليه).

ومن ذلك ما صح عن عليِّ بْن أَبي طالب أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيه وَسَلَّمَ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ عَلَيه السَّلَام لَيلَةً فَقَالَ: أَلا تُصَلِّيَانِ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَنْفُسُنَا بيَد الله، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا. فَانْصَرَفَ حينَ قُلْنَا ذَلكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إلَيَّ شَيئًا، ثُمَّ سَمعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: «وَكَانَ الإنْسَانُ أَكْثَرَ شَيءٍ جَدَلًا». (متفق عليه). فأوصاها مع زوجها وهي متزوجة وعند غيره ولم ينس حقها في النصيحة والاهتمام.

وقد أوصى ابن عمه الغلام بوصايا نفيسة ودرر رائعة، حفظها وبلغها كأروع ما تكون الوصية والتوجيه، وحسن رعاية الصغار وتربيتهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا، فقال: يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف. (الترمذي ٢٥١٦ وصححه الألباني).

فما أحوجنا لإعادة صياغة التناصح والوصايا بين الآباء والأبناء. نسأل الله أن يربي لنا أبناءنا ويصلحنا وإياهم.

المحافظة على الأعمال الصالحة بعد رمضان

إعداد / الشيخ/ صلاح نجيب الدق
فرع بلبيس

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وبعد: فالمسلم الذي استثمر وقته وماله في طاعة الله تعالى في شهر رمضان ينبغي أن يحافظ على الأعمال الصالحة بعده.

أخي المسلم الكريم، الله تعالى جعل أبواب الحسنات سهلة وميسرة طوال العام، فالسعيد مَن سارع إليها لينهل منها ما شاء من الحسنات، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

المحافظة على صلاة الجماعة في المساجد

المسلمُ الذي اعتاد على أداء الصلوات في المساجد ينبغي عليه أن يستمر على ذلك وليعلم أنها باب عظيم من أبـواب الحسنات. قال تعالى: (حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ) (البقرة:٢٣٨)، وعَن ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً. (مسلم: ٦٥٠).

أحـبـابـي الـكـرام: تـذكـروا أن خطواتكم إلـى المساجد لأداء الصلوات المفروضة حسنات لكم يوم القيامة، فحافظوا على هذا الباب العظيم من أبواب الحسنات. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ الله، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً. (مسلم: ٦٦٦).

تلاوة القرآن والعمل به

أخـي الكريم: يا مَن اعتادَ على تـلاوة القرآن وحفظ بعضاً منه في رمضان، لا تحرم نفسك مِن هـذا الباب العظيم من أبـواب الحسنات. فاحرص على تلاوة القرآن كلِّ يومٍ.

واعلم أن تلاوة القرآن والعمل به هي التجارة الرَّابحة: قـال تعَالَى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا

وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ) (فاطر٢٩، ٣٠)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف. (صحيح الترمذي للألباني: ٢٣٢٧).

وينبغي لنا أن نقرأ القرآن بتدبر مع تطبيق أحكامه في حياتنا. ولنعلم جميعا أن القرآن يشفع لمن قرأه وعمل به يوم القيامة: فعن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه. (مسلم: ٨٠٤).

اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء

أخي الكريم: يا من اعتاد على الدعاء عند الافطار وعند السجود وفي ثلث الليل الآخر: اعلم أن الدعاء من أول أسباب قضاء الحاجات، فاحرص عليه، وتذكر قول الله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر: ٦٠)، وقوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة:١٨٦)، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الدعاء هو العبادة. (صحيح أبي داود للألباني: ١٣١٢).

ويشترط لإجابة الدعاء أن يكون المأكل والمشرب حلالا، وألا يدعو المسلم بإثم أو قطيعة رحم مع وجوب إظهار الذل والخضوع والحاجة إلى الله تعالى. وعلى المسلم ألا يستبطئ الاجابة. ولإجابة الدعاء ثلاثة أحوال: إما أن يستجيب الله تعالى لصاحبها في الحال أو يرفع عنه من البلاء مثلها، واما أن يدخر له ثواب الدعاء ليوم القيامة.

بر الوالدين وصلة الأرحام

إذا كانت الأرحام موصولة في رمضان، فيجب على المسلم أن يصلها بعد رمضان، فإن رب رمضان هو رب باقي الشهور، فبر الوالدين وصلة الأرحام وصية ربانية؛ قال تعالى: (وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء: ١)، وقال تعالى: (وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (النساء:٣٦).

صلة الأرحام باب عظيم من أبواب سعة الرزق

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه. (البخاري: ٥٩٨٦، ومسلم: ٢٥٥٧).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله. (مسلم: ٢٥٥٥).

حسن رعاية الأسرة

أخي الكريم: أبناؤك أمانة في عنقك، وأنت مسؤول عنهم يوم القيامة، فأحسن تربيتهم وحصنهم بتعاليم القرآن الكريم والتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وعلمهم المحافظة على الصلاة جماعة في المساجد وجنبهم رفقاء السوء، وحذرهم من تقليد غير المسلمين في ملابسهم وأقوالهم وأفعالهم ومعتقداتهم الباطلة، لتنشأ أجيال تعرف حق ربها وحق رسولها وحق المجتمع الذي نعيش فيه.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كلكم راع فمسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة

عَنْهُمْ. (البخاري: ٢٥٥٤).

المحافظة على صوم النوافل

أخي الكريم: يا مَن صمت رمضان وشعرت بلذته لا تحرم نفسك من صوم التطوع فإن له فضلاً عظيماً؛ فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: مُرْنِي بِأَمْرٍ آخُذُهُ عَنْكَ، قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ. (صحيح سنن النسائي، للألباني ج٢ ص١٢٢).

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ. (مسلم حديث ١١٦٤).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. (البخاري: ١٩٠٤).

فلا تنس أخي الكريم صوم ستة أيام من شهر شوال، وصوم الاثنين والخميس، والأيام البيض من كل شهر عربي وهي الثالث والرابع والخامس عشر، وكذلك العشر الأول من ذي الحجة، ويوم عرفة ويوم عاشوراء، ولا يكلف الله تعالى نفساً إلا وُسْعَها.

قيام الليل بالصلاة

الصلاةُ صلةٌ بين العبد وربه، فيا مَن اعتاد على صلاة التراويح وأحييت العشر الأواخر من رمضان لتدرك فضل ليلة القدر، لا تحرم نفسك من ركعات تقومها لله تعالى في جوف الليل؛ خاصةً في ثلث الليل الأخير، فإن لم يتيسر ذلك فاحرص على صلاة قيام الليل في أول الليل بعد صلاة العشاء.

واعلمْ أخي الكريم أن قيام الليل من صفات عباد الرحمن. قال سبحانه: (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) (الفرقان:٦٤)، وقال تعالى: (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (السجدة:١٦).

وعن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ. (صحيح الترمذي للألباني: ٢٠١٩).

مواساة الفقراء والمحتاجين

أخي المسلم الكريم: يا مَن اعتاد على الجود والكرم في رمضان، استمر في مسيرة العطاء والبذل في وجوه الخير المختلفة بعد رمضان، وتذكر أن سنابل الخير لا تموت أبداً، فلا تنس الفقراء واليتامى. قال تعالى: (وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (سبأ: ٣٩)؛ قال سُبْحَانَهُ: (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا) (المزمل: ٢٠).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قَالَ: قَالَ اللَّهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ. (البخاري ٥٤٥٣)

وتذكر أن الله تعالى يخلف عليك هذا المال في الصحة والأموال والأولاد. فعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. (البخاري: ٢٤٤٦، ومسلم: ٢٥٨٥).

وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى. (البخاري حديث: ٦٠١١، ومسلم حديث ٢٥٨٦).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا

سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (البخاري: ٢٤٤٢، ومسلم حديث ٢٥٨٠).

المحافظة على تهذيب الأخلاق

يجب على المسلم أن يكون دائماً حَسَنَ الخُلق، فإن حُسْنَ الخلق له منزلة عظيمة عند الله وعند الناس. فعن أبي الدرداء، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ. (صحيح الترمذي للألباني: ١٦٢٨).

وعن عَلِيِّ بنِ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا. فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَدَامَ الصِّيَامَ وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. (صحيح الترمذي للألباني: ١٦١٦).

وجوب اجتناب المعاصي

أخي الكريم: يا من حرصت على اجتناب المعاصي في شهر رمضان لكي يتقبل الله تعالى منك الصيام؛ احرص على اجتناب المعاصي بعد رمضان لكي يبارك الله تعالى لك في صحتك وأهلك ومالك.

ولقد حذَّرنا الله تعالى من المعاصي في كثير من آيات القرآن الكريم؛ فقال سُبْحَانَهُ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة:٩٠).

وقال جَلَّ شأنه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات: ١٢)، وحذَّرنا نبينا محمد، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من خطورة المعاصي في كثير من أحاديثه الشريفة.

روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ. (مسلم: ٢٥٦٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ. (البخاري: ٢٤٤٩).

الحرص على التمسك بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم

أخي المسلم الكريم: أوصي نفسي وإياك باتباع سُنَّة نبينا صلى الله عليه وسلم في جميع الأقوال والأفعال؛ فقد أمرنا الله باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) (آل عمران: ٣١، ٣٢).

قَالَ الإِمَامُ ابن كثير (رَحِمَهُ اللَّهُ): هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ حَاكِمَةٌ عَلَى كُلِّ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَلَيْسَ هُوَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ الْمُحَمَّدِيَّ وَالدِّينَ النَّبَوِيَّ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَحْوَالِهِ. (تفسير ابن كثير جـ٢- ص٣٢).

وقال سبحانه: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء:٦٥)، وقال سُبْحَانَهُ: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) (الحشر: ٧)، وحذرنا سبحانه من مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم عمداً؛ فقال تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور: ٦٣).

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الإسلام: دعوة إلى التوحيد والسنة

قال الله تعالى: "قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ" (يوسف: ١٠٨)

من أخلاق الرسول ﷺ

كان صلى الله عليه وسلم آمن الناس، وأعدلهم، وأعف الناس، وأصدقهم لهجة، وقد كان مشهورًا بهذه الأوصاف قبل الرسالة وبعدها، ولولا هذه الصفات، وخاصة الأمانة لما حصلت الثقة فيه بما يبلغ به عن ربه، ولما اصطفاه الله لحمل الرسالة إلى البشر.

(الشفا للقاضي عياض)

الصيام بعد رمضان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شهر الصبر (أي رمضان) وثلاثة أيام من كل شهر (أي الثالث والرابع والخامس عشر) صوم الدهر» (صحيح مسلم)

فضل صيام ست من شوال

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر". (صحيح مسلم).

زكاة الفطر قبل صلاة العيد

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات". (سنن أبي داود).

لزوم جماعة المسلمين وإمامهم

قال البربهاري: "اعلم أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر، فمن السنة لزوم الجماعة، ومن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكان ضالا مضلا" (السنة للبربهاري)

من أقوال السلف

عن الأوزاعي قال: "كان يقال: "خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله" (أي مع ولاة الأمر)

(شرح السنة للالكائي).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«"كنت أول النبيين في الخلق، وآخرهم في البعث، (فبدأ بي قبلهم)». ضعيف. رواه تمام في "فوائده" (١/١٢٦/٨)، والثعلبي في "تفسيره" (١/٩٣/٣). (السلسلة الضعيفة للألباني).

اعداد/د. علاء خضر

حكم ومواعظ

قال محمد بن الحسين: «دخلت على محمد بن مقاتل، فقلت له: عظني، فقال: اعمل فإن مت لم تعد أبدًا. وانظر إلى الذاهبين هل عادوا؟ (نضرة النعيم).

من فضائل الصحابة

عن جابر رضي الله عنه، قال: كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: «أنتم اليوم خير أهل الأرض»

(صحيح مسلم)

من حكمة الشعر

قالوا في بر الوالدين:

عليك ببر الوالدين كليهما
وبر ذوي القربى وبر الأباعد
ولا تصحبن إلا تقيا مهذبًا
عفيفا ذكيا منجزا للمواعد

(الترغيب والترهيب للمنذري)

من معاني الأحاديث

«اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر» أي: شدته ومشقته. وأصله من الوعث، وهو الرمل، والمشي فيه يشتد على صاحبه ويشق. يقال: رمل أوعث، ورملة وعث.

(النهاية لابن الأثير)

أيها الإنسان: احذر عدوك الشيطان!

أ. د محمد حامد الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه وبعد؛

فإذا كان شهر رمضان قد ولّى وذهب، فلكم ربّى وهذّب. أقبل الناسُ فيه على الطاعات، وأحجموا عن المعاصي والمنكرات؛ فأجابوا المنادي حين ناداهم: يا باغي الخير أقبل فأقبلوا، ويا باغي الشر أقصرْ فاقصروا. وما من شك أنه كان لتصفيد مردة الجن والشياطين وسلسلتهم أثر كبير في تيسير الطاعات، وتهوين العقبات، والإعراض عن السيئات.

وحينئذٍ يردُ سؤال لا مفر منه بعد رمضان وهو: ماذا يصنع الإنسان بعد رمضان وقد أطلقت الشياطين؟ هل سيضعف الإنسان بعد قوة، فيبتعد عن الطاعة بعد أن ذاق حلاوتها، ويقع في المعصية بعد أن جانبها؟ إن الذي صفّد الشياطين- وهو الله رب العالمين- أبان لك السبيل الذي تُحفظ به من كيدهم في كل وقت وحين؛ فإذا استمسكت بهذا السبيل فلا تسلط للشيطان عليك، ولا سبيل له على إغوائك وإضلالك.

وإني ذاكر لك نبذة مختصرة عن أبرز معالم هذا السبيل القويم الذي تتحصن به من عدوك الشيطان بيد أنه من الأهمية بمكان ألا تغفل أيها الإنسان عن أن الشيطان عدو لك لا رغبة له إلا في إضلالك، ولا حاجة له إلا في الكيد لك، وإيقاعك في حبائله فاحذره، وتنبّه لمكايده.

وقد تكرر في القرآن الكريم بيان هذا الأصل المهم وهو التحذير من عداوة الشيطان الواضحة.

قال تعالى: « إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ »(سورة فاطر:٦)، وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ »(سورة البقرة:١٦٨)، «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ »(سورة النور:٢١)، وقال تعالى: « وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ » (سورة الزخرف:٦٢)، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وإن المتأمل في قصص الأنبياء والمرسلين ليجدُ أنَّ أكثر ما حدَّثنا الله عنه في هذا القصص كان عن مواجهة الأنبياء وتصديهم للباطل الذي كان عليه أقوامهم في العقيدة والشريعة والسلوك، ولكنك

حين تقرأ قصة آدم عليه السلام تجد أن المحور الكبير، والمقصد العظيم من تكرر قصته عليه السلام هو التحذير من عداوة الشيطان الرجيم، وبيان أنه مُوغل في العداوة والخبث، رأس في المكر، والخداع، وتزيين الباطل، قال سبحانه: « يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ »(سورة الأعراف:٢٧).

إنَّ عدونا الشيطان قد أقسم بعزة الله سبحانه على أنه مُلازم لصدّ بني آدم عن صراط الله المستقيم، لا يجد سبيلا إلى إغوائهم إلا دخل منه، ولا طريقًا إلى إضلالهم إلا أزّهم إليه، ومنّاهم فيه، ووعدهم بما فيه غرورهم ثم شقاؤهم.

حدَّثنا الله عنه فقال سبحانه: « قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ » (سورة ص:٨٢-٨٣)، وقال سبحانه: « قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ »(سورة الأعراف:١٦-١٧)، وقوله:" لأقعدن" أي: لألزمن، ولذا لم يتعدَّ القعود بالحرف" على".

وعن سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ الْمَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ، " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»(أخرجه النسائي في سننه حديث٣١٣٤).

إذا علمت هذا فدونك أبرز معالم السبيل القويم للنجاة من كيد الشيطان الرجيم ووساوسه.

أولا: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم

وأصل الاستعاذة كما قال ابن كثير في تفسيره (١/١١٤): "هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر".

وقد ذكر - رحمه الله - أن رب العزة سبحانه قد أمرنا في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه، ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموادة والمصافاة، وأمرنا بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة؛ إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبلُ.

قال تعالى:« خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ »(سورة الأعراف:١٩٩-٢٠٠)، وقال تعالى:« ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ »(سورة المؤمنون:٩٦-٩٨)، وقال تعالى: « وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ »(سورة فصلت٣٤-٣٦).

ثانيا: قراءة المعوذات (قراءة سورتي الفلق والناس ومعها سورة الإخلاص)

لقد أنزل الله في القرآن الكريم سورة كاملة وهي سورة الناس ومقصودها التحصن والتعوذ من وسوسة الشيطان الرجيم التي هي أصل الشرور، وسبب المعاصي والذنوب.

وقد شُرع لنا أن نقرأ المعوذتين (الفلق، والناس)، ومعهما سورة الإخلاص صباحًا ومساء وقبل النوم لما لهذه السور من الأثر الكبير في حفظ الإنسان

وحمايته وكفايته.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاحِلَتَهُ فِي غَزْوَةٍ إِذْ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ فَاسْتَمَعْتُ»، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ فَاسْتَمَعْتُ»، فَقَالَهَا الثَّالِثَةَ، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ فَقَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فَقَرَأَ السُّورَةَ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» وَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» فَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: «مَا تَعَوَّذَ بِمِثْلِهِنَّ أَحَدٌ»(أخرجه النسائي في سننه حديث٥٤٣٠).

ثالثا: قراءة آية الكرسي قبل النوم

جاء ما يدل على ذلك في قصة أبي هريرة رضي الله عنه في حفظ زكاة رمضان، وسرقة الشيطان من الطعام، وإمساك أبي هريرة رضي الله عنه به، وقوله له:" قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: « ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ » (البقرة: ٢٥٥)، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ إلى أن قال له:" (أخرجه البخاري في صحيحه معلقا حديث٢٣١١).

رابعا: قراءة سورة البقرة

لقد ثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم الترغيب في قراءة سورة البقرة، وبيان أثرها في بيوت الناس؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» (أخرجه مسلم في صحيحه (حديث٧٨٠).

خامسا: ذكر الله عز وجل:

من أعظم ما يُحفظ به الإنسان من وساوس الشيطان ذكر الله عز وجلَّ؛ ولذا فقد وصف الله للشيطان حالين في قوله تعالى: « مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ »(سورة الناس:٤) فهو وسواس موسوس إذا غفل الإنسان عن ذكر الله، وخناس إذا ذكر ربه سبحانه.

وفي حديث الحارث الأشعري أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ الله جلّ وعلا أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات؛ يعمل بهنّ، ويأمرُ بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ.." فذكر الحديث وفيه:" وآمركم بذكر الله؛ فإنّ مَثل ذلك مثل رجل طلبه العدوّ سراعًا في أثره، فأتى على حصن حصين، فأحرز نفسه فيه، فكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله"(أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٢٢٢)، والترمذي في سننه (٢٨٦٣)، وقال: حديث حسن صحيح غريب".

سادسا: الإيمان به سبحانه، والإخلاص لله تعالى ولزوم عبادته، والتوكل عليه.

إذا حرص المؤمن على لزوم عبادة الله عز وجلّ، والاستقامة على طاعته، والإخلاص له في أقواله وأعماله حفظه الله من الشيطان الرجيم، ووساوسه؛ قال تعالى: « إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ »(سورة الحجر:٤٢)، وذكر سبحانه اعتراف إبليس بأنه لا سبيل له على أهل الإخلاص: «قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ»(سورة ص:٨٢-٨٣).

وقد بيّن أيضا عز وجل أن الشيطان لا سبيل له على المؤمنين المتوكلين؛ فقال سبحانه: « إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ » (سورة النحل: ٩٩-١٠٠).

هذه أمور عظيمة، وأسلحة قوية مفيدة للإنسان في دفع وساوس الشيطان، والتخلص من مكايده، وثمّ أمور أخرى مفيدة أيضا في هذا الباب، بيد أن ما ذُكر من أهم تلك التحصينات وأجمعها، وحريٌّ بالعبد أن يحافظ عليها، ويأخذ بها عسى الله أن يحفظه ويحميه فيستمر على الطاعة ويزداد منها، ويبغض المعصية ويتجنبها، والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

من أخبار الجمعية

لقاء المركز العام بفروع الجمعية

في إطار خطة مجلس إدارة المركز العام للتواصل مع الفروع؛ قام فضيلة الرئيس العام الشيخ/ أحمد يوسف والوفد المرافق له بعقد سلسلة من الاجتماعات شملت معظم فروع الجمعية، للاطلاع عن قرب على أنشطة الفروع، والوقوف على مشاكلهم ومقترحاتهم، وبحث سبل تواصل الفروع ببعضها.

كان الاجتماع الأول مع فروع محافظات الشرقية والقناة يوم السبت الموافق ١٧ شعبان ١٤٤٦هـ/ ١٦ فبراير ٢٠٢٥م، باستضافة فرع العاشر من رمضان.

أما لقاء محافظات الدقهلية ودمياط فكان في يوم الأحد الموافق ١٨ شعبان ١٤٤٦هـ/ ١٧ فبراير ٢٠٢٥م؛ حيث استضاف اللقاء فرع بدواي.

وكان اجتماع محافظات المنوفية والغربية وكفر الشيخ في يوم الثلاثاء ٢٠ شعبان ١٤٤٦هـ/ ١٩ فبراير ٢٠٢٥م، وكان الفرع المستضيف ميت فارس محافظة المنوفية.

وقد شهدت هذه اللقاءات تبادل الآراء وعرض المقترحات في جوٍّ من الأُخوة؛ حيث حضرها قيادات الجمعية بالفروع من الدعاة والعلماء، وكان على رأس المستقبلين لوفد المركز العام الدكتور جمال المراكبي، وقد ثمّن الرئيس العام والوفد المرافق له دور الفروع في خدمة المجتمع، ودعا إلى مزيد من الجهد لإبراز دور الجمعية أمام كل الجهات.

سائلين الله تعالى التوفيق والسداد لما يحبه ويرضاه.

قافلة «وتعانوا» من الجمعية إلى محافظات الصعيد

في سابقة هي الأولى في تاريخ الجمعية انطلقت قافلة «وتعانوا» من المركز العام بقرار من مجلس الإدارة إلى فروع الصعيد لدعم الأسر الفقيرة من خلال فروع الجمعية.

وعلى رأسها وفد من المركز العام: قام الرئيس العام فضيلة الشيخ أحمد يوسف يرافقه الشيخ رجب عبدالتواب أمين صندوق الجمعية، والسيد/ أحمد عبد الهادي مسؤول إدارة التكافل، والسيد/ سليمان أحمد يوسف بالتوجه إلى الفروع المشاركة وتسليم (٢٠٠٠) كرتونة، شملت الكرتونة الكثير من المواد الغذائية. وكانت البداية في محافظة بني سويف يوم السبت ٨ رمضان ١٤٤٦هـ الموافق ٨ مارس ٢٠٢٥م؛ حيث تم التوزيع من خلال فرعي بني سويف ودموشيا، وفي نفس اليوم انطلقت القافلة إلى محافظة المنيا؛ حيث تم التوزيع من خلال فروع (سمالوط- دير سمالوط- الجندية- الشيخ عبد اللاه- ملوي).

وفي اليوم الثاني استكملت الحملة طريقها إلى محافظة سوهاج حيث تم التوزيع من خلال فرعي (دار السلام، والبطاح بالمراغة). واختتمت الحملة زيارتها لمحافظة أسيوط حيث فرعا (بني سبع وأسيوط).

وقد عمت الفرحة كل من كانوا في هذه الفروع، وقد بذل المسؤولون عن الفروع جهدًا مشكورًا في الترتيب والإعداد وتسليم المستحقين، وتبادل الجميع التهاني بشهر رمضان ونجاح القافلة في جوٍّ من المودة والتعاون بين المركز العام وفروع الجمعية.

سائلين الله تعالى أن تكون هذه بداية انطلاق لقوافل أخرى لأماكن هي الأكثر حاجة دعمًا لبلدنا وقيامًا بواجب الجمعية نحو مزيد من المساهمة لتخفيف الأعباء عن الأسر المستحقة.

وبالله التوفيق

ورحل الشيخ المُحدّث أبو إسحاق الحويني رحمه الله

رحل عن عالمنا يوم الاثنين الموافق ١٧ رمضان ١٤٤٦هـ: الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني، وهذه كلمة مختصرة عن حياة الشيخ، رحمه الله:

هو: أبو إسحاق حجازي بنُ محمد بن يوسف بن شريف الحوينيُّ المصريُّ، وإسحاقُ هذا ليس بولده، إنما تكنَّى الشيخ به تيمُّنًا بكنية الصحابيِّ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكنية الإمام أبي إسحاق الشاطبيِّ، رحمهُ الله.

وُلدَ يومَ الخميس غرة ذي القَعدة لعام ١٣٧٥هـ، الموافق ١٩٥٦م بقرية حوين بمركز الرياض، محافظة كفر الشيخ بمصر.

وُلد الشيخُ في أسرة ريفية متوسطة، لها وجاهتها في القرية واحترامُها، بسبب معاملتها الطيبة للناس، وما اشتهر عن الأبِ منْ حُسن خلقه.

دارسته:

تخرج الشيخ- رحمه الله- في كلية الألسن بجامعة عين شمس بالقاهرة، وتخرّج فيها بتقدير عام

امتياز، وكان يريد أن يصبح عضوًا في مجمع اللغة الإسباني، وسافر بالفعل إلى إسبانيا بمنحة من الكلية، ولكنه رجع لعدم حبه البلد هناك.

رحلته العلمية:

كان لقراءته كتب الشيخ الألباني أثر كبير في نفسه، ودافع له إلى المزيد من القراءة في علم الحديث. ودرس على يد الشيخ محمد نجيب المطيعي، ثم ذهب إلى الأردن وقضى شهرًا في صحبة الشيخ الألباني، ثم ذهب إلى السعودية والتقى الشيخ صالح آل الشيخ، والشيخ ابن عثيمين.

من أخذ عنهم:

أخذ على الشيخ سيد سابق -رحمه الله- بالمعادي، وعلى بعض 'شيوخ الأعمدة' في الجامع الأزهر، في أصول الفقه واللغة والقراءات، وأخذ بعض قراءة ورش على خاله (وكان مدرس قراءات).

وفي سنة ١٣٩٦هـ قدم الشيخ الألباني رحمه الله لمصر، وألقى محاضرة في المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بعابدين، ولكنه رحل ولم يقابله الشيخ.

وكان قد نشر للشيخ كتاب "فصل الخطاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب"، وكان الشيخ الألباني يقول: ليس لي تلاميذ (أي: على طريقته في التخريج والنقد)، فلما قرأ الكتاب قال: نعم (أي: هذا تلميذه).

وسافر الشيخ إلى الشيخ الألباني في الأردن أوائل المحرم سنة ١٤٠٧هـ وكان معه لمدة شهر تقريبا كان- كما يقول- من أحسن أيامه.

وقد قابله مرة أخرى في موسم الحج في الأراضي المقدسة سنة ١٤١٠هـ، وكانت أول حجة للشيخ وآخر حجة للشيخ الألباني -رحمه الله-، وآخر مرة رآه الشيخ فيها.

فعلى هذا، فإن الشيخ لم يلق الشيخ الألباني -رحمه الله- إلا مرتين سجل لقاءاته وأسئلته فيهما على أشرطة 'كاسيت'، ونشرت هذه اللقاءات باسم "مسائل أبي إسحاق الحويني"، وهاتفه بضع مرات. فأخذ علمه عن الشيخ من كتبه ومحاضراته المسموعة، ومن هاتين المرتين.

وذهب الشيخ إلى المملكة العربية السعودية، فأخذ عن كل من:

- الشيخ عبد الله بن قاعود رحمه الله، فحضر بعض مجالس في شرح كتاب "الكافية في الجدل" للإمام الجويني، وكان يقرأ عليه آنذاك الشيخ صالح آل الشيخ.
- الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، فحضر بعض مجالس في مسجده المسجد الكبير في شروح لكتب: "سنن الإمام النسائي"، "مجموع الفتاوى" للإمام ابن تيمية، و"كتاب التوحيد" للإمام محمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله.
- كما قابل الشيخ ابن العثيمين رحمه الله في الحرم، ودخل غرفته الخاصة وسأله عن بعض مسائل.

ثناء العلماء عليه:

وصفه الشيخ الألباني رحمه الله للشيخ أنه: تلميذه. وقد قال له في لقائه به في عمان: قد صح لك ما لم يصح لغيرك. اهـ.

وقال (الصحيحة ج٥ ح٢٤٥٧) مختصًا المشتغلين الأقوياء في علم الحديث: فعسى أن يقوم بذلك بعض إخواننا الأقوياء في هذا العلم كالأخ علي الحلبي، وسمير الزهيري، وأبي إسحاق الحويني، ونحوهم، جزاهم الله خيراً. اهـ.

وأيضا (الصحيحة ج٧ ح٣٩٥٣ والذي نشر بعد وفاته): هذا، ولقد كان من دواعي تخريج حديث الترجمة بهذا التحقيق الذي رأيته: أن أخانا الفاضل أبا إسحاق الحويني سئل في فصله الخاص الذي تنشره مجلة التوحيد الغراء في كل عدد من أعدادها، فسئل -حفظه الله وزاده علماً وفضلاً- عن هذا الحديث في العدد الثالث (ربيع الأول ١٤١٩هـ) فضعفه، وبين ذلك ملتزماً علم الحديث وما قاله العلماء في رواة إسناده، فأحسن في ذلك أحسن البيان، جزاه الله خيراً، لكني كنت أود وأتمنى أن يتبع ذلك ببيان أن الحديث بأطرافه الثلاثة صحيح؛ حتى لا يتوهمن أحد من قراء فصله أن الحديث ضعيف مطلقاً، سنداً ومتناً، كما يشعر ذلك سكوته عن البيان المشار إليه. أقول هذا، مع أنني أعترف له بالفضل في هذا العلم، وبأنه يفعل هذا الذي تمنيته له في كثير من الأحاديث التي يتكلم على أسانيدها، ويبين ضعفها، فيتبع ذلك ببيان

الشواهد التي تقوي الحديث. اهـ.
وقال الشيخ عبد الله بن آدم الألباني -حفظه الله- ابن أخي الشيخ (في رسالة خطية بعث بها لأبي عمرو أحمد الوكيل والذي بدوره نشر صورتها في كتابه "المعجم المفهرس للأحاديث النبوية والآثار السلفية التي خرّجها فضيلة الشيخ أبو إسحاق الحويني" ص١٧٥٩): في شتاء عام ١٤١٠هـ زارنا الشيخ الألباني -رحمه الله- في دارنا، وعرضت عليه جملة من الأسئلة، أذكر منها السؤال التالي: يا شيخ! من ترى له الأهلية من المشايخ لسؤاله في علم الحديث بعد رحيلكم، وإن شاء الله بعد عمر طويل؟ فقال: فيه شيخ مصري اسمه أبو إسحاق الحويني، جاءنا إلى عمّان منذ فترة، ولمست معه أنه معنا على الخط في هذا العلم. فقلت: ثم من؟ قال: الشيخ شعيب الأرناؤوط. قلت: ثم من؟ قال: الشيخ مقبل بن هادي الوادعي. اهـ.
وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد-حفظه الله- في مقدمة كتابه "التحديث بما لا يصح فيه حديث" (ط١ ص٩-١٠)، وذكر من أفرد كتبا لهذا النوع من التأليف، فذكر أربعة، كان الثالث والرابع منها كتابي الشيخ "فصل الخطاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب"، و"جنة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب". قال: والأول أخصر من الثاني، لكن فيه ما ليس في الآخر، وكلاهما لأبي إسحاق الحويني حجازي بن محمد بن شريف. اهـ.
وقال أيضا في الكتاب المذكور (ط١ ص٢١): "جنة المرتاب" أوعب كتاب رأيته لتخريج ونقد هذه الأبواب، وهو في ٦٠٠ صفحة. اهـ.

مؤلفاته وتحقيقاته:

للشيخ ما يربو على المائة مشروع، منها ما قد اكتمل، ومنها ما لم يكتمل، تتراوح ما بين التحقيقات والتخريجات والاستدراكات والنقد والتأليف الخالص. فمنها:
"تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر في كتب الأماجد". تأليف/استدراكات.
"تسلية الكظيم بتخريج أحاديث تفسير القرآن العظيم" للإمام ابن كثير. تأليف/تحقيق وتخريج.
"تفسير القرآن العظيم" للإمام ابن كثير. (هو اختصار للكتاب السابق).
"ناسخ الحديث ومنسوخه" للإمام ابن شاهين. تحقيق.
"بُرء الكلم بشرح حديث قبض العلم". تأليف (شرح حديث: إن الله لا يقبض العلم انتزاعا...).
"الفوائد" للإمام ابن بشران. تحقيق.
"المنتقى" للإمام ابن الجارود. تحقيق.
"تعلة المفئود شرح منتقى ابن الجارود". تأليف/ تحقيق حديثي مع بحوث فقهية.
"الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج" للسيوطي. تحقيق وتخريج.
"مسامرة الفاذ بمعنى الحديث الشاذ". تأليف.
"النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة". تأليف.
"المعجم" للإمام ابن جمع. تحقيق.
"نبع الأماني في ترجمة الشيخ الألباني". تأليف.
"الثمر الداني في الذب عن الألباني". تأليف.
وكان للشيخ -رحمه الله- كتابات حديثية بالمجلة، كان يقوم فيها بالإجابة عن أسئلة القراء عن الأحاديث في «باب أسئلة القراء عن الأحاديث»، وقد شرع رحمه الله في عمل باب آخر في التحقيقات الحديثية، إلا أن ظروفه الصحية حالت دون ذلك.

خطبه ومحاضراته:

كان للشيخ -رحمه الله- خطبتان في كل شهر عربي، الجمعتان الأولى والثالثة، ومحاضرة كل يوم اثنين، بين المغرب والعشاء، وكلهم في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية بمدينة كفر الشيخ، بالإضافة إلى إلقاء الكثير من الدروس والخطب في المساجد بمصر، والقنوات الفضائية، والمراكز الإسلامية في العديد من الدول.
فرحم الله الشيخ أبو إسحاق الحويني، وأسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أسئلة القراء عن الأحاديث

أجاب عنها: الشيخ المُحدّث أبو إسحاق الحويني، رحمه الله في عدد صفر ١٤٢١هـ

يسأل طلبة الجامعة بمسجد شيخ الإسلام ابن تيمية بكفر الشيخ عن درجة هذه الأحاديث:
١- «إن من أمتي من لو جاء أحدكم يسأله دينارًا لم يُعطه، ولو سأل الله الجنة لأعطاها إياه، ذو طمرين، لا يؤبه له، تنبو عنه أعين الناس، لو أقسم على الله لأبرّه»؟

والجواب بحول الملك الوهاب:

لا يصح الحديث بهذا السياق، وآخِرُه صحيحٌ، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٥٤٨) قال: حدثنا محمد بن إبراهيم العسّال، نا سهل بن عثمان، نا أبو معاوية، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان مرفوعًا فذكره. قال الهيثمي في «مجمع الزائد» (١٠/٢٦٤): «رجاله رجال الصحيح». وهو يعني: صحيح مسلم؛ لأن سهل بن عثمان من شيوخ مسلم دون البخاري. وشيخ الطبراني وثقه أبو نعيم الأصبهاني في «أخبار أصبهان» (٢/٢١٧)، ولكن عبارة الهيثمي لا تدل على صحة الإسناد، كما هو معروف عند أهل العلم بالحديث؛ لأن هذا الحكم إنما يشمل شرطين فحسب من شروط الحديث الصحيح؛ وهي خمسة: أولها اتصال السند، وهذا الإسناد مع ثقة رجاله إلا أنه غير متصل. فقد صرّح أحمد بن حنبل وأبو حاتم الرازي أن سالم بن أبي الجعد لم يلقَ ثوبان. قال أحمد: «لم يسمع ثوبان ولم يلقه».

وقال أبو حاتم: «لم يدرك ثوبان». وكلام الهيثمي مع أنه موهمٌ لغير المتخصصين: إلا أنه أدق من كلام شيخه العراقي الذي خرّج هذا الحديث في «المغني عن حمل الأسفار» فقال (٣/٢٧٧): «إسناده صحيحٌ».

وقد بينا لك المانع من ذلك. ثم علّة أخرى مؤثرة وهي المخالفة. فقد خُولف سهل بن عثمان في إسناده. خالفه الإمام أحمد بن حنبل فرواه في «كتاب الزهد» (ص ١٢)، وكذلك هناد بن السري فرواه في «الزهد» أيضًا (رقم ٥٨٧) قالا: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكره هكذا مرسلاً، وعندهما: (ولو سأله الدنيا لم يُعطه إياه، وما يمنعها إياه لهوانه عليه). وليس عندهما ولا عند الطبراني - فيما تقدم - قوله: «تنبو عنه أعين الناس». وسيأتي شاهدها، فها هو أحمد وهناد يخالفان سهل بن عثمان فيرسلانه، وهما أرجح منه بلا شك مع ثقة سهل بن عثمان، وتتأيد الرواية المرسلة بأن أبا معاوية تُوبع على هذا الوجه المرسل. فتابعه زائدة بن قدامة وهو ثقة ثبتٌ، فرواه عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره. أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (١١٠٣- زوائد) قال: حدثنا معاوية بن عمرو، ثنا زائدة.

ومعاوية بن عمرو هو ابن المهلب من ثقات شيوخ البخاري.
وقد خالفه يحيى بن يمان وهو سيئ الحفظ، فرواه عن زائدة بن قدامة بهذا الإسناد غير أنه قال: «قال الله تبارك وتعالى: إن من أوليائي... إلخ». أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١١) قال: حدثنا أبو هشام - هو الرافعي - ثنا يحيى بن يمان. ولعل جعل هذا الحديث من كلام الله تعالى وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم من سوء حفظ يحيى بن يمان. فهذا كله يدل على أن الأصل في هذا الحديث الإرسال وهو المحفوظ.
أما قوله: «تنبو عنه أعين الناس» فله شاهدٌ من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ربّ أشعث أغبر ذي طمرين، تنبو عنه أعين الناس، لو أقسم على الله لأبره»: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/٣٢٨)، والطحاويُّ في «المشكل» (١/٢٩٢) من طريق إبراهيم بن حمزة ثنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله، عن أبي هريرة مرفوعًا. قال الحاكم: «صحيح الإسناد» كذا قال! والإسناد منقطعٌ، فقد قال أبو حاتم: «لم يدرك المطلب أحدًا من الصحابة إلا سهل بن سعد». ورأيته في «الحلية» (١/٧) لأبي نعيم، رواه من طريق إبراهيم بن حمزة بهذا الإسناد، لكنه قال: «الوليد بن رباح» بدل «المطلب بن عبد الله»، وأخشى أن يكون تصحيفًا، وكتاب «الحلية» ملآن من مثله. ولعله اختلاف في الإسناد. والله أعلم.
أما آخرُ الحديث فأخرجه مسلمٌ في «كتاب الجنة» (٢٨٥٤/٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد ورد أيضًا من حديث أنس عند الترمذي (٣٨٥٤).

٢- «إذا وُضع السيف في هذه الأمة لم يُرفع عنهم إلى يوم القيامة».؟

الجواب: حديثٌ صحيحٌ.
أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢٠٢)، وأحمد (٥/٢٧٨، ٢٨٤)، والحربي في «الغريب» (٣/٩٥٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/٥٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/٢٨٩)، وفي «الدلائل» (٤٦٤) من طرقٍ عن حماد بن زيد، عن أيوب بن أبي تميمة السختياني، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان مرفوعًا. وهذا سندٌ صحيحٌ. وجوّد ابن كثير إسناده في «تفسيره»، وسبق الترمذي إلى ذلك فقال: «هذا حديثٌ حسن صحيحٌ».
ولهذا الإسناد متابعاتٌ عند الحاكم (٤/٤٤٩) وغيره.

٣- «عجبتُ لغافل ليس يُغفل عنه، وعجبتُ لمن يأمن الدنيا والموت يطلبه، وعجبت لضاحك ملء فيه لا يدري أرضى الله أو أسخطه».؟

الجواب: حديث ضعيفٌ جدًا.
أخرجه ابنُ عدي في «الكامل» (٢/٦٨٩)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (١٠٥٨٨) من طريق هشام بن يونس، ثنا يحيى بن يعلى الأسلمي، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود، وكان يرفعُه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وذكره.
وأخرجه البيهقي أيضًا (١٠٥٨٧) من طريق عثمان بن سعيد الدارميَ، ثنا يحيى بن يعلى بهذا الإسناد. وأخرجه القضاعيُّ في «مسند الشهاب» (٥٩٤) من طريق وكيع بن الجراح عن حميد الأعرج به. وهذا إسنادٌ ضعيف جدًا؛ لوهاء حميد الأعرج: قال البخاري وأبو حاتم الرازي: «منكرُ الحديث». زاد أبو حاتم: «ضعيفُ الحديث قد لزم عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود، ولا نعلمُ لعبد الله عن ابن مسعود شيئًا». ومعنى قول أبي حاتم: «لزم عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود» معناه: لزم الرواية بهذا الإسناد. وقال ابن معين: «ليس بشيء» وضعّفه أحمد. وقال الدارقطني: «متروك، وأحاديثه تشبه الموضوعة». وقال ابن حبان: «يروي عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود نسخة كأنها موضوعة». وقال ابنُ عدي: «وهذه الأحاديث عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود ليست بمستقيمة ولا يتابع عليها». فالراجح أنّ الرجل واه كما قال الذهبيُّ. أمّا الحافظ ابن حجر فقد تساهل في الحكم عليه، فقال في «التقريب»: «ضعيفٌ»!!
والعلمُ عند الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

مقاصد وأحكام صيام الست من شوال

إعداد د. محمد عبد العزيز
رئيس فرع العاشر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد:

فإن من علامات قبول العمل: انشراح الصدر، وطمأنينة النفس، وهجر الذنب، والإقبال على الله. ومن علامات القبول أيضًا أن يتبع الحسنة الحسنة، ومن علامات القبول أن يسارع للعبادات الموظفة في الأزمنة الفاضلة فلا يضيعها، ومن هذه العبادات الفاضلة صيام الست من شوال، فإن له أجرًا عظيمًا، يسارع إليه الموفقون من عباد الله الصالحين.

وقد ورد في فضله حديث أبي أيوب الأنصاري، رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، فَقَدْ صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ» أخرجه مسلم (٢٧٥٨، ٢٧٦٠، ٢٧٥٩)، وأبو داود (٢٤٣٣)، والترمذي (٧٥٩)، والنسائي في الكبرى، (٢٨٦٢، ٢٨٦٣، ٢٨٦٤، ٢٨٦٥، ٢٨٦٦)، وابن ماجه (١٧١٦).

وفي رواية النسائي عن عمر بن ثابت، قال: «غزونا مع أبي أيوب، فصام رمضان وصمنا، فلما أفطرنا، قام في الناس، فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من صام رمضان، وصام ستة أيام من شوال، كان كصيام الدهر».

وهذا فضل عظيم يمتن به الله على عباده فيضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها، وهذه هي أقل المضاعفات، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يروي عن ربه عز وجل قال: «إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فإنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إلى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إلى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فإنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (٢٥٥).

وعلى هذا فشهر رمضان يُضاعف بعشرة أشهر، والست من شوال تضاعف بستين يومًا فذلك صيام الدهر، ثم يضاعف الله لمن يشاء من عباده.

قال القرافي في "الذخيرة" (٢/ ٥٣١): ومعنى قوله: «فكأنما صام الدهر»: أن الحسنة بعشرة، فالشهر بعشرة أشهر، والستة بستين كمال السنة، فإذا تكرر ذلك في السنين فكأنما صام الدهر. اهـ.

ويلزم من هذا إشكال وهو أن يكون صيام رمضان ثم إتباعه بست من شوال يساوي صيام ثلاثة أيام من كل شهر فإنه يساوي صيام الدهر في الأجر، لحديث أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن صامَ من كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيَّامٍ فذلِكَ صيامُ الدَّهرِ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ تصديقَ ذلِكَ في كتابِهِ: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» اليومُ بعشرةِ أيَّامٍ». أخرجه الترمذي (٧٦٢) واللفظ له، والنسائي (٢٤٠٩)، وابن ماجه (١٧٠٨).

وقد أجاب عن هذا الإشكال أبو العباس القرطبي

في " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" قال (٣ / ٢٣٧): «فإن قيل: فيلزم على هذا مساواة الفرض النفل في تضعيف الثواب، وهو خلاف المعلوم من الشرع؛ إذ قد تقرر فيه: أن أفضل ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى ما افترض عليهم.

وبيان ذلك: أنه قد تقدم: أن صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر: أي: السَنة، وهذه الثلاثة تطوع بالاتفاق، فقد لزم مساواة الفرض للنفل في الثواب.

والجواب: على تسليم ما ذكر - من أن ثواب الفرض أكثر - أن نقول: إن صيام ثلاثة أيام من كل شهر إنما صار بمنزلة صيام سنة بالتضعيف؛ لأن المباشر من أيامها بالصوم ثلاثة أعشارها، ثم لما جعل كل يوم بمنزلة عشر كملت السنة بالتضعيف.

وأما صوم رمضان مع الستة: فيصح أن يقال فيه أنه بمنزلة سنة بُوشرت بالصوم أيامها، ثم ضُوعفت كل يوم من أيام السَنة بعشرة، فيضاعف العدد، فصارت هذه السنة بمنزلة عشر سنوات بالتضعيف، وذلك أن السنة ثلاثمائة وستون يومًا، فإذا ضربت ثلاثمائة وستين في عشرة صارت ثلاثة آلاف وستمائة».

وفي صيام الست من المقاصد الشرعية غير طلب مضاعفة الأجر:

١ - امتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رغب في صيامها.

٢ - جبر الخلل الذي يقع من الصائمين أثناء صيامهم، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إنَّ أَوَّلَ ما يُحاسَبُ بِه العَبْدُ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ عَمَلِه صَلاتُه، فإنْ صَلَحَتْ فقَدْ أفْلَحَ وأنْجَحَ، وإنْ فَسَدَتْ فقَدْ خابَ وخَسِرَ، فإنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِه شَيءٌ قالَ الرَّبُّ عَزَّ وجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِها ما انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ؟ ثُمَّ يَكُونُ سائِرُ عَمَلِه عَلى ذَلِكَ» أخرجه أبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٥)، والنسائي (٤٦٦)، وابن ماجه (١٤٢٥).

٣ - شكر لله على إعانته لإتمام عدة صيام رمضان، قال تعالى: «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (البقرة: ١٨٥).

٤ - في صيام الست استمرار على تزكية النفس وتهذيبها بعد رمضان.

٥ - في صيام الست التقرب إلى الله بعبادة من أحب العبادات إلى الله أضافها لنفسه إضافة تشريف.

٦ - في صيام الست ستر ومباعدة من النار، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صامَ يَوْمًا في سَبِيلِ اللهِ، بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (٢٦٨١).

من أحكام صيام الست:

سأنبه هنا على عدد من المسائل التي يحتاجها العباد:

المسألة الأولى: وقت صيام الست متعين عند الجمهور في شهر شوال لحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

وهو عند المالكية لا يتعين في شوال بل السنة كلها محل له، وعلى هذا فـ: "من" في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من شوال» لبداية الغاية، وقد

وافقهم على ذلك بعض متأخري الشافعية، قال ابن الرفعة في كفاية النبيه في شرح التنبيه (٦ / ٣٩٥): «فإن قيل: إذا كان معنى الحديث ما ذكرتم، فهو لا يختص برمضان وست من شوال، بل من صام رمضان وستًا من ذي القعدة، أو رجبًا وستًا من شعبان، هكذا حكم حسناته؛ فيلزم أن يكون قد صام الدهر.

قيل: المراد في الخبر: فكأنما صام الدهر فرضًا، وهذا لا يكون في غير ما نص عليه صاحب الشرع.

قلت: ويحتمل أن يكون معنى قوله: "فكأنما صام الدهر"، أي: الذي كان واجباً في ابتداء الإسلام على قولنا: إن الأيام في قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة: ١٨٤) هي الأيام البيض كما تقدم وهي ثلاثة أيام من كل شهر؛ لأن مجموع ذلك ستة وثلاثون يوماً، ويؤيده ما سنذكره من رواية أبي داود عن ابن ملحان، لكن قد جاء في مسلم في خبر طويل عن أبي قتادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كل شهر؛ ورمضان إلى رمضان؛ فهذا صيام الدهر كله"».

الثاني: هل يشرع لمن فاته الست قضاؤها؟

قلت: هذه المسألة إنما تلزم من عيّن صيام الست في شوال، وهم الجمهور، وقد اختلف هؤلاء في ذلك على قولين:

الأول: يُسن قضاؤها، وهو قول الشافعية، قال الرملي في نهاية المحتاج (٣ / ٢٠٨): «وإذا تركها في شوال لذلك أو غيره سن قضاؤها مما بعده، وتحصل السنة بصومها متفرقة، ولكن تتابعها واتصالها بيوم العيد أفضل مبادرة إلى العبادة، ولما في التأخير من الآفات».

المسألة الثانية: أنه لا يشرع له قضاؤها؛ لأنها عبادة مؤقتة فات محلها، وهو مذهب الحنابلة، قال البهوتي في كشاف القناع (٢ / ٣٣٨): «ولا تحصل الفضيلة بصيامها، أي: الستة أيام في غير شوال، لظاهر الأخبار».

وظاهره: أنه لا يستحب صيامها إلا لمن صام رمضان، وقاله أحمد والأصحاب».

وقول الشافعية هو الراجح في هذه المسألة لأن العبادات المؤقتة قد وردت السنة بمشروعية قضائها.

المسألة الثالثة: هل يُشرع صيام الست لمن لم يقض ما عليه من رمضان؟

ظاهر النص أنه لا يُشرع له صيامها إلا بعد قضاء ما عليه، لأنه صلى الله عليه وسلم رتّب صيام الست على صيام رمضان فقال: «ثُمَّ أَتْبَعَهُ ستًا مِنْ شَوَّالٍ» و "ثم" حرف عطف يدل على الترتيب والتعقيب، فيدل على أنه لا بد من إتمام صيام رمضان أولاً، وهذا مذهب الحنابلة وفتوى كثير من أفاضل المعاصرين.

وذهب الجمهور إلى جواز صيامها قبل الشروع في القضاء؛ لأن القضاء وقته موسّع، فإذا صام الست ثم قضى ما عليه، حصل الأجر.

قال ابن حجر الهيتمي في تحفة المحتاج (٣ / ٤٥٧): «ولو فاته رمضان فصام عنه شوالاً سَن له صوم ست من القعدة؛ لأن من فاته صوم راتب يسن له قضاؤه».

وهذا القول هو الراجح إن شاء الله تعالى، وإن كان الأَوْلى عند الجميع البدء بالقضاء إبراءً للذمة من عهدة التكليف، وأخذًا بظاهر النص.

هذا ما يسره الله تعالى في تلك العجالة، والله أعلم.

الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال

الكلام عن: (الجهة) (المكان) (الحيز) (٩)

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فعقب ذكرنا لكلام كلٍّ من القرطبي وابن رشد في إزالة الشبه في إثبات (الجهة لله تعالى)، وبيان أن فساد معطليها إنما جاء من قبل اعتقادهم أن إثبات (الجهة) يوجب إثبات (المكان) و(الحيِّز)، وأن إثباتهما يستلزم الحركة والسكون للتميُّز والتغيُّر والحدوث، وأن ذلك يوجب إثبات (الجسمية)...

وعقب نقلنا لبعض ردود أئمة أهل السنة بأن ذلك من لوازم المخلوق وفي حق الأجسام، وأما الأمر بالنسبة للخالق فعلى خلافه؛ لأنه تعالى ليس بجسم، كما أننا لا نعلم كيفية تلك الرؤية، ولا كيف تكون من جهة، وأنه إنما يكون على وجه يليق بجلاله ويوجب مباينة الخالق للمخلوق؛ لقوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ» (الشورى: ١١)، وأيضًا لئلا يفضي القول بخلاف ذلك إلى تعطيل صفات: (العلو) و(الفوقية) و(رؤية الله جل في علاه يوم القيامة). وبعد الوصول من ذلك إلى أن من نفوا؛ لو استفصلوا على هذا النحو: لَمَا نفَوا (رؤية الله بالكلية) كما فعل أهل الاعتزال؛ ولما نفوا (رؤيته تعالى من جهة) كما فعل الأشعرية وأهل الكلام. وقد ذكرنا فيما يجب أن يتوجه إليه الانتقاد للأشاعرة في نفيهم الجهة؛ ما به تقام الحجة.

الإمام أبو الحسن الأشعري يدحض شُبَه مَن يدَّعون شرف الانتساب إليه من الأشعرية:

أقول بعد ترسيخ هذه القواعد والأصول؛ لا مناص من عَرْض ما ذكره إمام أئمة أهل السنة - بعد ابن حنبل - أبو الحسن الأشعري في هذه القضية، وهو وإن كان كلامه منصبًّا حول الرد على المعتزلة؛ إلا أنه لا يخلو من ردٍّ على ما فاه به الأشعرية؛ ومن سوقٍ لأدلة النقل والعقل على فساد ما جنحوا إليه، فقد ذكر في (الإبانة) أن "مما يدل على أن الله يُرى بالأبصار: قول موسى عليه السلام: «رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ» (الأعراف: ١٤٣)، ولا يجوز أن يكون موسى عليه السلام قد سأل ربه ما يستحيل عليه، فإذا لم يجز ذلك على موسى علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلًا، وأن الرؤية جائزة على ربنا تعالى، ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا كما زعمت المعتزلة ولم يَعْلَم ذلك موسى عليه السلام وعلموه هم لكانوا على قولهم: أعلم بالله من موسى، وهذا مما لا يدَّعيه مسلم.

ويدل على جواز رؤية الله في الآخرة بالأبصار: قوله لموسى عليه السلام: «فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى» (الأعراف: ١٤٣)، فلما كان الله قادرًا

على أن يجعل الجبل مستقرًا؛ كان قادرًا على الأمر الذي لو فعله لرآه موسى عليه السلام، فدل ذلك على أن الله تعالى قادر أن يُري عباده نفسه، وأنه جائز رؤيته.

فإن قال قائل: فلم لا قلتم إن قوله تعالى: ﴿فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ تبعيد للرؤية؟، قيل له: لو أراد الله تبعيد الرؤية لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه، ولم يقرنه بما يجوز وقوعه، فلما قرنه باستقرار الجبل وذلك أمرٌ مقدورٌ لله، دل ذلك على أنه جائز أن يُرى تعالى".. يعني: بأن يخلق الله يوم القيامة قوة في الرائي يرى بها ذاته تعالى، وكأن الله أراد أن يقول لموسى عليه السلام في عدم تحقق ذلك في الدنيا: إنك لم تقوَ على مشاهدة تجلي الله على الجبل - الذي لم يقدر على مشاهدة الجلال والعظمة وأصبح دكًا؛ وهو أقوى منك وأكثر تحملًا - وخررتَ صعقًا، فكيف لو كان التجلي لك؟

كما يدل على جوازها بالأبصار قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦)، قال أبو الحسن: "لم يُنعم الله على أهل الجنة بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له... وقال: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق: ٣٥) قيل: النظر إلى الله.. وقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ (الأحزاب: ٤٤)، وإذا لقيه المؤمنون رأوه. وقال عن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: ١٥)، فحجبهم عن رؤيته، ولا يحجُب عنها المؤمنين.

فإن قال قائل: فما معنى قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (الأنعام: ١٠٣)؟ قيل له: يُحتمل أن يكون لا تدركه في الدنيا، وتدركه في الآخرة؛ لأن رؤية الله أفضل اللذات، وأفضل اللذات تكون في أفضل الدارين.

ويُحتمل أن يكون تعالى أراد بقوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ يعني: لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين، وذلك أن كتاب الله يُصدّق بعضه بعضًا، فلما قال في آية: إن الوجوه تنظر إليه يوم القيامة، وقال في آية أخرى: إن الأبصار لا تدركه، علمنا أنه إنما أراد أبصار الكافرين لا تدركه... فإن قالوا: قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ يُوجب تخصيص أن لا يُدرك بها في الدنيا والآخرة، وليس ينفي ذلك أن نراه بقلوبنا ونُبصره بها، ولا نُدركه بها أي: بأبصارنا. قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون لا نُدركه بأبصار العيون ولا يُوجب إذا لم ندركه بها أن لا نراه بها، فرؤيتنا له بالعيون وإبصارنا له بها ليس بإدراك له بها، كما أن إبصارنا له بالقلوب ورؤيتنا له بها ليس بإدراك له بها.

فإن قالوا: رؤية البصر؛ هي: إدراك البصر، قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال: إن رؤية القلب وإبصاره هو إدراكه وإحاطته، فإذا كان علم القلب بالله وإبصار القلب له؛ رؤيته إياه ليس بإحاطة ولا إدراك، فما أنكرتم أن يكون رؤية العيون وإبصارها لله ليس بإحاطة ولا إدراك؟".

قال رحمه الله: "فإن قال قائل: قد استكبر الله سؤال السائلين له أن يُرى بالأبصار، فقال: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (النساء: ١٥٣). فيقال لهم: إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله على طريق الإنكار لنبوة موسى وترك الإيمان به حتى يروا الله؛ لأنهم قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة: ٥٥)، فلما سألوه الرؤية كذلك، استعظم الله سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليهم، كما استعظم سؤال أهل الكتاب أن يُنزّل عليهم كتابًا من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلًا، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتابًا.

ومما يدل على إثبات رؤية الله بالأبصار: رواية الجماعات من الجهات المختلفة للحديث المتفق عليه: (ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضارون في رؤيته)، والرؤية إذا أطلقت إطلاقًا ومُثلت برؤية العيان؛ لم يكن معناها إلا رؤية العيان.

ومما يدل على رؤية الله بالأبصار: أنه ليس موجودٌ إلا وجائز أن يريناه الله، وإنما لا يجوز أن يُرى المعدوم، فلما كان عز وجل موجودًا مثبتًا، كان

غير مستحيل أن يُرينا نفسه، وإنما أراد مَن نَفَى رؤية الله بالأبصار: التعطيل، فلما لم يمكنهم أن يُظهروا التعطيل صراحًا؛ أظهروا ما يؤول بهم إلى التعطيل والجحود.

كما يدل على رؤية الله بالأبصار: أنه تعالى يرى الأشياء، وإذا كان للأشياء رائيًا، فلا يرى الأشياء من لا يرى نفسه، وإذا كان لنفسه رائيًا؛ فجائز أن يُرينا نفسه كما أنه لما كان عالمًا بنفسه جاز أن يُعْلِمناها، وقد قال تعالى بحق موسى وهارون: «إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى» (طه: ٤٦)، فأخبر أنه يسمع كلًا منهما ويراهما، ومن زعم أن الله لا يجوز أن يُرى بالأبصار؛ يلزمه أن لا يجوز أن يكون رائيًا ولا عالمًا ولا قادرًا؛ لأن العالم والقادر الرائي؛ جائز أن يُرى"إ.هـ بتصرف.

استدراك على ما جنح عليه الأشعرية في رد شبه المعتزلة

ولا يقولن قائل: إن الأشعرية قد وافقوا شيخهم في هذه المسألة، وأن ليس ثمة خلاف بينهما، فإنهم وإن وافقوه وأهل السنة على إطلاق تجويزها وفي ردِّ عادية المعتزلة، فقد خالفوهما في تجويزها من (جهة ومكان). ومن ثم كان ردُّ الأشعري على المعتزلة وسوقه الأدلة على إثبات رؤيته تعالى من جهة ومن غير إحاطة ولا تعطيل ولا جحود على ما ورد في ردِّه على المعتزلة، يعدّ ردًا على الأشعرية كذلك واستدلالًا منه لدحض حججهم في هذه الجزئية.

وإنما يكمن محل الخلاف بين عموم أهل السنة والأشعرية، في: معرفة أن لفظ (الجهة) مجمل، وليس ثمة نصوص تثبته أو تنفيه، ولو أن الأشعرية استفصلوا لانتهى الخلاف ولتم التوافق التام مع جماعة أهل السنة، ولقد كان لشيخ الإسلام كلام جيد في مسألة (الجهة) أورده في (التدمرية) ص٤٥، يقول فيه: "قد يراد بـ(الجهة) شيء موجود غير الله، فيكون مخلوقًا كما إذا أريد بـ(الجهة) نفس العرش، أو نفس السماوات، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم؛ ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ (الجهة) ولا نفيه كما فيه إثبات (العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك)، وقد عُلم أن ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.

فيقال لمن نفى: أتريد بـ(الجهة) أنها شيء موجود مخلوق؟ فالله ليس داخلًا في المخلوقات، أم تريد بـ(الجهة) ما وراء العالم؟ فلا ريب أن الله فوق العالم.. وكذلك يقال لمن قال: (الله في جهة): أتريد بذلك أن الله فوق العالم، أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات؟ فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل".

يقول الشيخ الألباني في مختصر العلو ص٧١: "ومنه يُتبين أن لفظ (الجهة) غير وارد في الكتاب والسنة وعليه فلا ينبغي إثباتها ولا نفيها، لأن في كل من الإثبات والنفي ما تقدم من المحذور، ولو لم يكن في إثبات الجهة إلا إفساح المجال للمخالف أن يَنسب إلى متبني العلو ما لا يقولون به، لكفى.

وكذلك لا ينبغي نفي الجهة توهمًا من أن إثبات العلو لله يلزم منه إثبات الجهة، لأن في ذلك محاذير عديدة منها: نفي الأدلة القاطعة على العلو له تعالى، ومنها: نفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وقد صرح بنفيها: المعتزلة، والشيعة، وعلل ابن المطهر الشيعي في (منهاجه) النفي المذكور بقوله: (لأنه ليس في جهة)! وأما الأشاعرة أو على الأصح متأخروهم الذين أثبتوا الرؤية فتناقضوا حين قالوا: (إنه يُرى لا في جهة)؛ يعنون: (العلو)، إذ كيف تستقيم رؤيته تعالى مع نفي علوه؟

قال شيخ الإسلام في (منهاج السنة) (٢/ ٢٥٢): (وجمهور الناس من مثبتة الرؤية ونفاتها؛ يقولون: إن قول هؤلاء معلوم الفساد بضرورة العقل، كقولهم في الكلام، ولهذا يذكر الرازي أنه لا يقول بقولهم في مسألة الكلام والرؤية أحد من طوائف المسلمين)، ثم أخذ يرد على النفاة من

المعتزلة والشيعة بكلام رصين متين.
وجملة القول في لفظ (الجهة): أنه إن أريد به أمر وجودي غير الله كان مخلوقًا، والله تعالى فوق خلقه لا يحصره ولا يحيط به شيء من المخلوقات، فإنه بائن من المخلوقات، وإن أريد بـ (الجهة) أمر عدمي - يعني: ليس له في الوجود مثيل، وهو مرادهم بقولهم: (بائن من المخلوقات) - وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده، وهذا المعنى الأخير هو المراد في كلام المثبتين للعلو والناقلين عن السلف إثبات الجهة لله تعالى".

قال القرطبي في (الأسنى) - في رد من زعم من الأشعرية أن لازم إثباتها: أن يكون سبحانه في (حيز ومكان)، وأنهما يستلزمان: الحركة والسكون للتميز والتغير والحدوث - قال:
إنهم "أعرضوا عن مقتضى الكتاب والسنة وأقوال السلف وفطر الخلائق، وإنما يلزم ما ذكروه: في حق الأجسام، والله تعالى لا مثل له، ثم نقول: لا نُسلم أن كون الباري على عرشه فوق السموات يلزم منه أنه في (حيز وجهة)، إذ ما دون العرش يقال فيه: (حيز وجهة)، وأما ما فوقه فليس هو كذلك، والله فوق عرشه كما أجمع عليه الصدر الأول ونقله عنهم الأئمة، وقد قالوا ذلك رادين على الجهمية القائلين بأنه في كل مكان محتجين بقوله: «وهو معكم» (الحديد:٤)، فهذان القولان هما اللذان كانا في زمن التابعين وتابعيهم، وأما القول الثالث المتولد أخيرًا من أنه: ليس في الأمكنة، ولا خارجًا عنها، ولا فوق عرشه، ولا هو متصل بالخلق ولا بمنفصل عنهم، ولا، ولا - وهو قول الأشعرية تبعًا للمعتزلة - فهذا شيء لا يُعقل ولا يُفهم، مع ما فيه من مخالفة الآيات والأخبار، ففرّ بدينك وإياك وآراء المتكلمين، وآمن بالله وما جاء عن الله على مراد الله".

وتحت ما جعله ابن رشد في (الكشف عن مناهج الأدلة) (ص٦٦): تحت عنوان (القول في الجهة)، قال رحمه الله: "وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه، حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله، وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة مثل قوله تعالى"، وذكر بعض الآيات المعروفة، ثم قال: "إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولًا، وإن قيل فيها: إنها من المتشابهات، عاد الشرع كله متشابهًا، لأن الشرائع كلها متفقة على أن الله في السماء، وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين" انتهى.

وكان الأشعري قد نقل بـ (مقالات الإسلاميين) ص٢٩٠ وما بعدها، في (حكاية جملة قول أهل السنة وأصحاب الحديث) أنهم: "يقولون: إن الله (يُرى بالأبصار يوم القيامة) كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لأنهم عن الله محجوبون... وأن موسى سأل الله الرؤية في الدنيا، وأنه سبحانه تجلى للجبل فجعله دكًا، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة".

كما نقل إجماعهم على ذلك في (رسالة أهل الثغر)، فقال في الإجماع الحادي عشر ما نصه: "وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة بأعين وجوههم، على ما أخبر به تعالى في قوله: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» (القيامة: ٢٢- ٢٣)، وقد بيّن معنى ذلك النبيُّ، ودفع كل إشكال فيه بقوله للمؤمنين: (ترون ربكم عيانًا)، وقوله: (ترو ربكم يوم القيامة كما ترون القمر، لا تضامون في رؤيته)، فبيّن صلى الله عليه وسلم أن رؤيته تعالى بأعين الوجوه، ولم يُرد أن الله مثل القمر، فشبّه الرؤية بالرؤية ولم يُشبّه الله بالقمر، وليس يجب إذا رأيناه تعالى أن يكون شبيهًا لشيء مما نراه، كما لا يجب إذا علمناه أن يُشبه شيئًا نعلمه".

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

كيفية إتيان الوحي

إعداد/ الشيخ/ مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رَسول الله، كيف يأتيك الوحيُ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أحيانًا يأتيني مثل صَلصَلة الجرس، وهو أشدُّه عليَّ، فيُفصَمُ عني وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحيانًا يتمثّل لي الملكُ رجلًا فيُكلّمني فأعي ما يقول. قالتْ عائشةُ رضي الله عنها: ولقد رأيْتُه ينزل عليه الوحيُ في اليوم الشَّديد البرد، فيفصمُ عنه وإنَّ جبينه ليتفصَّدُ عرقًا. (صحيح البخاري: ٢).

(كيف يأتيك الوحي):

قال ابن حجر في الفتح ١/ ٢٨:
يحتمل أن يكون المسئول عنه صفة الوحي نفسه، ويحتمل أن يكون صفة حامله، أو ما هو أعم من ذلك، وعلى كل تقدير فإسناد الإتيان إلى الوحي مجاز؛ لأن الإتيان حقيقة من وصف حامله.
قوله (أحيانًا): جمع حين يُطلق على كثير الوقت وقليله، والمراد هنا مجرد الوقت، فكأنه قال: أوقاتًا يأتيني.
وللمصنف من وجه آخر عن هشام في بدء الخلق قال: كل ذلك يأتي الملك، أي كل ذلك حالتان فذكرهما.
وروى ابن سعد من طريق أبي سلمة الماجشون أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «وكان الوحي يأتيني على نحوين: يأتيني به جبريل فيلقيه عليَّ كما يُلقي الرجل على الرجل فذاك ينفلت مني، ويأتيني في بيتي مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي، فذاك الذي لا ينفلت مني». وهذا مرسل مع ثقة رجاله، فإن صح فهو محمول على ما كان قبل نزول قوله تعالى: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ» (القيامة: ١٦).
فإن الملك قد تمثل رجلًا في صور كثيرة ولم ينفلت منه ما أتاه به، كما في قصة مجيئه في صورة دحية الكلبي، وفي صورة أعرابي وغير ذلك وكلها في الصحيح.
وأورده على ما اقتضاه الحديث، وهو أن الوحي منحصر في الحالتين.
وهناك حالات أخرى:
إما من صفة الوحي كمجيئه كدوي النحل، والنفث في الروع، والإلهام، والرؤيا الصالحة، والتكلم ليلة الإسراء بلا واسطة.
وأما من صفة حامل الوحي كمجيئه في صورته التي خُلق عليها له ستمائة جناح، ورؤيته على كرسي بين السماء والأرض وقد سد الأفق.
والجواب: منع الحصر في الحالتين المقدم ذكرهما وحملهما على الغالب، أو حمل ما يغايرهما على أنه وقع بعد السؤال، أو لم يتعرض لصفتي الملك المذكورتين لندورهما.
فقد ثبت عن عائشة أنه لم يره كذلك إلا مرتين، أو لم يأته في تلك الحالة أو أتاه به فكان على مثل صلصلة الجرس، فإنه بيّن بها صفة الوحي لا صفة حامله.
وأما فنون الوحي فدويّ النحل لا يعارض صلصلة الجرس؛ لأن سماع الدوي بالنسبة إلى الحاضرين-كما في حديث عمر- يسمع عنده

كدوي النحل، والصلصلة بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فشبَّهه عمر بدَويّ النحل بالنسبة إلى السامعين، وشبَّهه هو صلى الله عليه وسلم بصلصلة الجرس بالنسبة إلى مقامه.

وأما النفث في الروع فيحتمل أن يرجع إلى إحدى الحالتين؛ فإذا أتاه الملك في مثل صلصلة الجرس نفث حينئذ في روعه.

وأما الإلهام فلم يقع السؤال عنه؛ لأن السؤال وقع عن صفة الوحي الذي يأتي كامل، وكذا التكليم ليلة الإسراء.

وأما الرؤيا الصالحة فقال ابن بطال: لا ترد، لأن السؤال وقع عما ينفرد به عن الناس؛ لأن الرؤيا قد يشركه فيها غيره. والرؤيا الصادقة وإن كانت جزءًا من النبوة فهي باعتبار صدقها لا غير، وإلا لساغ لصاحبها أن يسمى نبيًا وليس كذلك.

ويحتمل أن يكون السؤال وقع عما في اليقظة، أو لكون حال المنام لا يخفى على السائل فاقتصر على ما يخفى عليه، أو كان ظهور ذاك له صلى الله عليه وسلم في المنام أيضًا على الوجهين المذكورين لا غير، قاله الكرماني وفيه نظر، وقد ذكر الحليمي أن الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعًا-فذكرها- وغالبها من صفات حامل الوحي ومجموعها يدخل فيما ذكر.

قوله (مثل صلصلة الجرس): في رواية مسلم (في مثل صلصلة الجرس) والصلصلة بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة: في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين. والجرس الجلجل الذي يُعلق في رءوس الدواب واشتقاقه من الجرس بإسكان الراء وهو الحس.

قيل: والصلصلة المذكورة صوت الملك بالوحي. قال الخطابي: يريد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد، وقيل: بل صوت حفيف أجنحة الملك.

والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي فلا يبقى فيه مكان لغيره، ولما كان الجرس لا تحصل صلصلته إلا متداركة وقع التشبيه به دون غيره من الآلات.

قوله (أشدد عليّ): يُفهم منه أن الوحي كله شديد، ولكن هذه الصفة أشدها، وهو واضح، لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالخطاب المعهود.

قوله (فيفصم): بفتح أوله وسكون الفاء وكسر المهملة: أي يقلع ويتجلى ما يغشاني، أصل الفصم القطع ومنه قوله تعالى: «لَا انفِصَامَ لَهَا» (البقرة: ٢٥٦)، فذكر بالفصم إشارة إلى أن الملك فارقه ليعود. (فتح الباري بتصرف).

ومعنى الحديث: (أن الملك يفارقه على أن يعود، ولا يفارقه مفارقة قاطع لا يعود). (دلائل النبوة، للبيهقي ٥٢/٧).

قوله (وقد وعيت عنه ما قال): أي القول الذي جاء به، وفيه إسناد الوحي إلى قول الملك، ولا معارضة بينه وبين قوله تعالى حكاية عمن قال من الكفار: (إن هذا إلا قول البشر)؛ لأنهم كانوا ينكرون الوحي، وينكرون مجيء الملك به.

قوله: (يتمثل لي الملك رجلا): التمثل مشتق من المثل، أي يتصور، واللام في الملك للعهد وهو جبريل، وقد وقع التصريح به في رواية ابن سعد المقدم ذكرها، وفيه دليل على أن الملك يتشكل بشكل البشر.

قوله: (ليتفصد): بالفاء وتشديد المهملة، مأخوذ من الفصد وهو قطع العرق لإسالة الدم، شبَّه جبينه بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق.

وفي قولها: «في اليوم الشديد البرد» دلالة على كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي؛ لما فيه من مخالفة العادة، وهو كثرة العرق في شدة البرد، فإنه يشعر بوجود أمر طارئ زائد على الطباع البشرية.

وللحديث بقية، إن شاء الله.

الدعوة إلى الله تبارك وتعالى

إعداد الشيخ / إبراهيم حافظ رزق
فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ وبعد:

فيقول ربنا سبحانه وتعالى: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (فصلت: ٣٣)، ومن هذه الآية يتبين أن الدعوة إلى الله تعالى من أشرف الوظائف، بل هي أشرفها؛ لأنها وظيفة الأنبياء والمرسلين ومن سار على دربهم؛ يقول تعالى: «قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (يوسف: ١٠٨)، فالدعاة إلى الله هم ورثة الأنبياء والمرسلين؛ لأنهم أول مَن قام بالدعوة إلى الله، والبلاغ عنه سبحانه.

والذي في كتب التفسير وأسباب النزول عن عائشة ومجاهد وعكرمة أن قول الله سبحانه: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ» نزلت في المؤذنين.

وقال ابن كثير في تفسيره: والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم، والآية مكية، والأذان إنما شُرع في المدينة بعد الهجرة.

وقال الشوكاني في فتح القدير: والأولى حمل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ.

وقال الخازن: وقيل إن كل مَن دعا إلى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل في هذه الآية.

وذكر ابن الجوزي أن المراد بذلك هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

والدعوة إلى الله تعالى ليست قاصرة على الخطباء وحدهم، بل الأمر متاح أمام الجميع ففي الحديث الشريف: «بلِّغوا عني ولو آية...» (صحيح البخاري). وخيرية هذه الأمة تكمن في كونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، يقول الله تعالى: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» (آل عمران: ١١٠)، والملاحظ في الآية الكريمة أن الله سبحانه قدَّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الإيمان بالله، مع أنه لا يُعقل أن يأتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير المؤمنين، فلا يُعقل أن يتأتى ذلك من كافر أو جاهل، ولكن لعل المفهوم من الآية أن مَن لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر لم يكتمل إيمانه بعدُ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جناحا الدعوة إلى الله، كجناحي الطائر لا يستطيع أن يطير بغيرهما، والله تعالى يقول: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ» (التوبة: ٧١).

ومشكلة البعض أنه يمثل صورة سيئة للداعية حين يأمر بالمعروف ولا يأتيه ؛ وينهى عن المنكر ويأتيه، وهذا عياذًا بالله ممن تُسعَّر بهم النار يوم القيامة، كما جاء بذلك الحديث الشريف.

أفضل الدعاة

وأفضل الدعاة الأنبياء، وخيرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو الأسوة والقدوة في الدعوة إلى الله، وهو صلى الله عليه وسلم لم يُرَبِّ أصحابه بالكلام وحده، بل ربَّاهم بالأسوة والقدوة في شكله وسمته وهيئته وعبادته وأخلاقه ومعاملاته فهو بالحق إمام الدعاة إلى الله فقد سار على درب من سبق من الأنبياء والمرسلين الذين قص الله أخبارهم في القرآن، وكيف كانت دعوتهم إلى الله، وكيف صبروا على أذى أقوامهم، وقال له: «وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ» (هود: ١٢٠)، وأمره صلى الله عليه وسلم أن يتأسى بهم فقال له بعدما ذكر جملة من الأنبياء والمرسلين: «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ» (الأنعام: ٩٠).

فهذا نبي الله نوح عليه السلام ظل يدعو قومه إلى الله ألف سنة إلا خمسين عامًا يتدرج بهم ومعهم في أساليب الدعوة إلى الله كما حكى عنه القرآن: «قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا» (نوح: ٥-٩).

وهذا هو الخليل إبراهيم عليه السلام بيَّن القرآن كيف كانت دعوته لأبيه وقومه، وكذلك الصديق يوسف عليه السلام كيف دعا إلى الله حتى وهو في سجنه، واستغل حاجة صاحبيه لتأويل الرؤى في دعوتهم إلى توحيد الله سبحانه، ونبذ ما كان يعبد آباؤهم.

من أساليب الدعوة

والدعوة إلى الله تأخذ أشكالًا متعددة وأساليب شتى تختلف باختلاف الزمان والمكان، فمن أساليب الدعوة إلى الله إلى جانب الخطابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: تأتي الدعوة إلى الله عن طريق الأسوة والقدوة الطيبة والحكمة والجدال بالتي هي أحسن والرفق بالمخاطبين، وتحمل الأذى منهم كما كان يفعل رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله، يقول تعالى: « ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ » (النحل: ١٢٥)، فالجدال بالتي هي أحسن خاصة مع من يختلف معنا في الدين أو في العقيدة، يقول تعالى: « وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ » (العنكبوت: ٤٦).

ومن أساليب الدعوة إلى الله كذلك: أسلوب المراسلة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راسَل الملوك والأمراء، ودعاهم إلى الدخول في الإسلام كما ذكرت كُتب السيرة، فقد راسَل صلى الله عليه وسلم المقوقس حاكم مصر، وكسرى ملك الفرس، وهرقل عظيم الروم. وكذلك سار ابن تيمية رحمه الله على درب الرسول صلى الله عليه وسلم في استخدام الرسائل في الدعوة إلى الله، فقد راسَل حاكم قبرص في زمنه بالرسالة القبرصية وكذلك الرسالة التدمرية وغيرها، وكذلك فعل ابن القيم رحمه الله في الرسالة التبوكية.

دعاة على أبواب جهنم

وإذا كان الدعاة إلى الله هم ورثة الأنبياء والموقِّعين عن رب العالمين فإن هناك دعاة من نوع آخر تعرفنا عليهم من خلال القرآن والسنة.

فهناك دعاة على أبواب جهنم كما أخبر الصادق المصدوق في حديث حذيفة بن اليمان: «كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني...» إلى أن قال صلى الله عليه وسلم: «دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها». رواه البخاري ومسلم.

فهؤلاء وأمثالهم من الدعاة يقول خالقهم سبحانه: « وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ » (القصص: ٤١)، ويقول تعالى: « أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ » (البقرة: ٢٢١).

ومن هؤلاء الأئمة الداعين إلى النار: دعاة تحرير المرأة حيث تقوم دعوتهم أساسًا على دعوة المرأة إلى التبرج والسفور ومخادنة مَن تشاء من الرجال دون قيد من دين أو خلق أو حياء، والعمل في شتى المجالات التي تناسبها أو لا تناسبها بحجة تحرير المرأة، وأنها نصف المجتمع، ولا ينبغي أن يبقى نصف المجتمع معطلًا، وأن على المرأة أن تخرج لتشارك الرجال وأن احتجاب المرأة عودة بها إلى عصور التخلف والظلام... إلى آخر هذه الدعوات الهدامة.

وكذلك من هؤلاء الدعاة الذين تقوم دعوتهم على إقامة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية بعيدًا عن الدين، وهؤلاء وغيرهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة، وصلِّ اللهم وسلِّم على رسولنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ

الشيخ/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله علام الغيوب، والصلاة والسلام على النبي المحبوب.

وبعد: نحتاج في كل لحظة إلى ثبات القلوب؛ لكثرة الفتن والذنوب، وكيد الشيطان والنفس اللعوب، ولنا مع هذا الرجاء وقفات يسيرة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أولا: ما كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

عن شَهْر بْن حَوْشَب، قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلمَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ». فَتَلاَ مُعَاذٌ: «رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا» (آل عمران: ٨). سنن الترمذي (٣٥٢٢). صَحِيح الْجَامِع (٤٨٠١) ومن معاني الدعاء مثلا:

(١) أَنَّ اللهَ يَتَصَرَّفُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ بِمَا شَاءَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا وَلَا تَفُوتُهُ إِرَادَةٌ. قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: فِي نِسْبَةِ تَقَلُّبِ الْقُلُوبِ إِلَى اللهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّهُ يَتَوَلَّى قُلُوبَ عِبَادِهِ وَلَا يَكِلُهَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ وَفِي دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ إِشَارَةٌ إِلَى شُمُولِ ذَلِكَ لِلْعِبَادِ حَتَّى الْأَنْبِيَاءِ وَرَفْعُ تَوَهُّمِ مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّهُمْ يُسْتَثْنَوْنَ مِنْ ذَلِكَ، وَخَصَّ نَفْسَهُ بِالذِّكْرِ إِعْلَامًا بِأَنَّ نَفْسَهُ الزَّكِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مُفْتَقِرَةً إِلَى أَنْ تَلْجَأَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ فَافْتِقَارُ غَيْرِهَا مِمَّنْ هُوَ دونه أحق بذلك. (فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٣٧٧).

(٢) "يُكْثِرُ" مِنَ الْإِكْثَارِ (أَنْ يَقُولَ): هَذَا الْقَوْلَ (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ) أَيْ: مُصَرِّفَهَا تَارَةً إِلَى الطَّاعَةِ، وَتَارَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ، وَتَارَةً إِلَى الْحَضْرَةِ، وَتَارَةً إِلَى الْغَفْلَةِ. «ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، أَيِ: اجْعَلْهُ ثَابِتًا عَلَى دِينِكَ غَيْرَ مَائِلٍ عَنِ الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالْخُلُقِ الْعَظِيمِ. (مرقاة المفاتيح ١/ ١٧٨). والداعي هو الرسول صلى الله عليه وسلم أشد الأمة إيمانا وثباتا على الدين، فما بالنا نحن؟!

ثانيا: لماذا ثبات القلب؟

(١) القلب دائم التقلب: عن أبي موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّما سمِّي القلب من تقلُّبه، إنَّما مثل القلب كمثل ريشة

بالفلاة تعلّقت في أصل شجرة تقلّبها الريح ظهرًا لبطن". «شعب الإيمـان» (٧٥٢)، صحيح الجامع (٢٣٦٥).

يُشير هذا الحديث الشريف إلى طبيعة القلب البشري وحالته المتقلبة. فالقلب يشبه ريشة خفيفة معلقة بشجرة في أرض قاحلة، تهب عليها الرياح فتقلبها يمينًا وشمالًا، وقلب الإنسان سريع التغير والتبدل، فهو يتأثر بسهولة بالظروف المحيطة به وبما يسمعه ويشاهده. فمرة يكون مملوءًا بالإيمان والخشوع، ومرة أخرى يميل إلى المعاصي والذنوب. وهذا التغير المستمر في حال القلب هو أمر طبيعي.

(٢) الإنسان مدار صلاحه وفساده على القلب:

عن النُّعْمانِ بْنِ بَشِيرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عَلَيْه وسَلّمَ يَقُولُ: "ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ" صحيح البخاري (٥٢)، صحيح مسلم (١٥٩٩). ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كلمة جامعة لصلاح حركات ابن آدم وفسادها وأن ذلك كله بحسب صلاح القلب وفساده. فإذا صلح القلب صلحت إرادته وصلحت جميع الجوارح فلم تنبعث إلى طاعة الله واجتناب سخطه فقنعت بالحلال عن الحرام. وإذا فسد القلب فسدت إرادته، ففسدت الجوارح كلها وانبعث في معاصي الله عز وجل وما فيه سخطه ولم تقنع بالحلال؛ بل أسرعت في الحرام بحسب هوى القلب. (فتح الباري لابن رجب: ١/٢٢٩).

ثالثا: كيف يثبت القلب على الدين؟

(١) بكثرة دعاء الله عز وجل بالثبات على الدين:

-قال تعالى: «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا» (آل عمران: ٨).

ولهذا كانَ أَكْثرُ دُعاءِ رسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم «اللَّهُمَّ يا مُقلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دينِكَ» فيه إرْشادٌ للأمَّة، والظَّاهرُ أنَّ كُلَّ أحد منَ العِباد كما أنَّهُ مُفْتَقِرٌ إليه تعالى في الإيجاد؛ لا يَسْتَغْني عَنْهُ ساعةً من الإمْداد. (مرقاة المفاتيح: ١/١٦٣).

(٢) يسأل الله الثبات على طاعته في كل لحظة:

عن عَبد اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، أنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، يقولُ: «إنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ واحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا علَى طَاعَتِكَ» صحيح مسلم (٢٦٥٤).

لهذا ينبغي للإنسان أن يسأل الله دائمًا أن يُثبّته، وأن يصرف قلبه على طاعته، قوله "صرِّف قلوبنا على طاعتك" قد يتبادر إلى الذهن أن الأولى أن يُقال إلى طاعتك، لكن قوله «على طاعتك» أبلغ يعني قلب القلب على الطاعة فلا يتقلب على معصية الله؛ لأن القلب إذا تقلب على الطاعة صار ينتقل من طاعة إلى أخرى؛ من صلاة إلى ذكر إلى صدقة إلى صيام إلى علم، إلى غير ذلك من طاعة الله فينبغي لنا أن ندعو بهذا الدعاء "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك". (شرح رياض الصالحين ٦/٢٢).

(٣) استقامة اللسان على طاعة الرحمن:

عَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا يَسْتَقِيمُ إيمانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، ولا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسانُهُ. (مسند أحمد (١٣٠٤٨)، السلسلة الصحيحة (٢٨٤١).

(٤) تجديد التوبة لتنظيف القلب:

عَنْ أبي هُرَيْرةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إنَّ العَبْدَ إذا أخْطأَ خَطِيئةً نُكِتَتْ في قَلْبِه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، فإذا هُوَ نَزَعَ واسْتَغْفَرَ وتابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وإنْ عادَ زِيدَ فيها حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وهُوَ الرّانُ الَّذي ذَكَرَ اللهُ» «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (المطففين: ١٤). سنن الترمذي (٣٣٣٤) وصحيح الجامع (١٦٧٠). "فإذا هو" أي العبد "نزع" أي نفسه عن ارتكاب المعاصي "واستغفر" أي سأل الله المغفرة "وتاب" أي من الذنب والمعنى نظّف

وصفَّى مرآة قلبه لأن التوبة بمنزلة المصقلة تمحو وسخ القلب وسواده حقيقيًا أو تمثيليًا " تحفة الأحوذي (٩/٢٥٤)

(٥) بكثرة ذكر الله تعالى:

قال تعالى: « ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ » (الرعد: ٢٨). «ألا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» أي: ألا بذكره وحده دون غيره من شهوات الحياة تسكن القلوب أنسًا به، ومحبة له. ويصح أن يراد بذكر الله هنا ما يشمل القرآن الكريم، ويشمل ذكر الخالق عز وجل باللسان، فإن إجراءه على اللسان ينبه القلوب إلى مراقبته سبحانه كما يصح أن يراد به خشيته سبحانه ومراقبته بالوقوف عند أمره ونهيه. (التفسير الوسيط لطنطاوي: ٧/٤٧٨).

رابعًا: لماذا كثرة الدعاء بالثبات على الدين؟

فالدعاء بالثبات على الإسلام حتى الممات من أنفع وأهم وأحوج ما يكون للعبد. ودعاء "ثبِّت قلبي على دينك" هو دعاء عظيم يكرره المؤمنون كثيرًا، وله حكمة بالغة وراء ذلك التكرار. وإليك بعض الأسباب التي تدعونا إلى كثرة الدعاء بالثبات:

(١) ضعف النفس البشرية: قال تعالى: « وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ » (يوسف: ٥٣).

الإنسان بطبعه ضعيف، وقلبه مُعرَّض للتقلبات والتغيرات. قد يتأثر بظروف الحياة، أو بآراء الآخرين، أو بشبهات الشيطان، فيميل عن الحق. لذا، فإن الدعاء بالثبات هو بمثابة سؤال الله تعالى أن يُقوي قلبه ويحفظه من الزلل.

(٢) الحرب المستمرة من الشيطان: قال تعالى: «واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا» (الإسراء: ٦٤).

وقال ابنُ عبَّاس: في قوله «واسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ» قال: كُلُّ داعٍ دعا إلى معْصيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ. وقوله تعالى: «وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ» يقولُ: واحْمِلْ عَلَيْهِمْ بِجُنُودِكَ خَيَّالَتِهِمْ وَرَجْلَتِهِمْ. تفسير ابن كثير (٥/٨٦).

فالشيطان عدو للإنسان دائمًا، ويسعى بكل ما أوتي من قوة ليُضله ويأخذه عن طاعة الله. فإنه يوسوس في قلوب المؤمنين، ويحاول أن يزرع الشكوك والفتن في نفوسهم. لذلك، فإن الدعاء بالثبات هو سلاح قوي ضد مكائد الشيطان.

(٣) تعدُّد الفتن في الحياة: «حاجتنا اليوم إلى الثبات على الدين أشد من حاجة الناس المسلمين في العصور الأولى، لما كان المجتمع نظيفًا، وكانت الدنيا عامرة بذكر الله، ويندر أن ترى منكرًا عامرًا في الشوارع لقلة من يرتكب المنكر وكثرة من يُنكر، فلما انعكست الأمور في ندرة الإخوان وضعف المعين، وقلة الناصر، والفساد، صرنا نرى كثرة حوادث ردة وانتكاس ونكوص على الأعقاب حتى من بعض الذين كانوا ممن يُشار إليهم، مما يحمل المسلم على الخوف من أمثال تلك المصائر، ويتلمس الثبات. فالثبات مسألة متعلقة بالقلب» «دروس للشيخ محمد المنجد» (١٢/٤٦).

(٤) السعادة في الدارين:

قال تعالى: « يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ » (إبراهيم: ٢٧).

الثبات على الدين هو أساس السعادة في الدنيا والآخرة؛ فالمؤمن الثابت على دينه هو الذي ينال رضا الله تعالى، ويدخل الجنة. أما الذي يتقلب في الدين، فهو مُعرَّض للضلال والشقاء. فاللهم يا مُقلِّبَ القُلُوبِ ثبِّتْ قلوبنا على دينِكَ.

العيد
أُلفة ومحبة ووئام

إعداد الشيخ عبده أحمد الأقرع
فرع اختاواي

الحمد لله وحده،

وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فالعيد شعيرة من شعائر الإسلام، ومظهر من أجل مظاهره، فإنه اليوم الذي توّج الله به شهر الصيام، وافتتح به أشهر الحج إلى بيته الحرام، وأجزل فيه للصائمين والقائمين جوائز البرّ والإكرام، عيد امتلأت القلوب به فرحًا وسرورًا وازدانت به الأرض بهجة ونورًا، لأنه اليوم الذي يخرج فيه المسلمون إلى مصلاهم لربهم حامدين معظمين وبنعمته بإتمام الصيام والقيام مغتبطين ولخيره وثوابه مؤمّلين راجين أن يتقبل الله منهم الصيام والقيام وسائر الطاعات والفوز بالجنة والعتق من النار.

فيوم العيد يوم فرح وسرور لمن طابت سريرته، وخلصت لله نيته، والمجتمع السعيد الصالح هو الذي تسمو أخلاقه في العيد إلى أرفع ذروة، وتمتد فيه مشاعر الإخاء إلى أبعد مدى؛ حيث يبدو في العيد متماسًا متعاونًا، متراحمًا، تخفق فيه القلوب بالحب والود والبر والصفاء، لا سيما والمسلمون جميعًا كانوا بالأمس يقومون بعبادة واحدة في وقت واحد، وفي لحظة واحدة، لحظة الإفطار انتظر الجميع تكبير المؤذن، فيحمدوا الله على إتمام صومهم ويفرحوا بفطرهم، وفي الليل يقومون خلف إمام واحد يقف كل منهم إلى جانب أخيه الكتف بالكتف والقدم بالقدم حذاء بعضهم بعضًا، فليكن هذا التوحد بين القلوب كما هو في المظهر والصورة.

فكم هو جميل أن تظهر أعياد المسلمين بمظهر الواعي لأحوالها وقضاياها، وإننا اليوم بحاجة ماسة إلى التآلف والتناصح وتوحيد القصد والعمل والتعاون في الحق؛ لأن أخوة الإسلام هي روح الإيمان القوي، التي يُكنّها المسلم لإخوانه في العقيدة، حتى إنه ليحيا بهم ويعيش معهم وفيهم، فكأنهم جميعًا أغصان تفرعت من دوحة واحدة (الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة).

لأن من المبادئ العظيمة التي أرسى دعائمها ديننا

الحنيف مبدأ الأخوة بين أهل الإيمان، قال الله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» (الحجرات: ١٠)، إخوة في ماذا؟ إخوة في الدين والحرمة، لا إخوة في النسب فحسب.

لأن أخوة الدين والحرمة تبقى، أما أخوة النسب فتنقطع ولا تبقى، قال الله تعالى: «الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ» (الزخرف: ٦٧).

وقد ذكر الله تعالى المؤمنين بأخوتهم لبعضهم البعض فقال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» (الحجرات: ١٠)، وقال تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا» (آل عمران: ١٠٣).

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ» (البقرة: ١٧٨)، وقال تعالى: «فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ» (التوبة: ١١).

وقال تعالى: «وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ» (الحجرات: ١٢).

وقال تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ» (الحشر: ١٠).

قال الله تعالى: «وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ» (الحجرات: ١١).

والمراد في هذا المقام: إخوانكم؛ لأن المؤمنين فيما بينهم-فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمرهم وطلب صلاحهم ومحبتهم للخير- كالجسد الواحد، فمن لمز أخاه فقد لمز نفسه، ومن عاب إخوانه فقد عاب نفسه.

وقال تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ» (البقرة: ١٨٨). أي: أموال إخوانكم.

وقال تعالى: «لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا» (النور: ١٢).

وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين بأخوتهم لبعضهم البعض، فقال صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا». (متفق عليه البخاري ٦٠٦٤، ومسلم ٢٥٦٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». (متفق عليه: البخاري ١٣، ومسلم ٤٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث». (متفق عليه: البخاري ٦٠٦٥، ومسلم ٢٥٥٩).

وقال صلى الله عليه وسلم: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». (مسلم ٢٦٩٩).

وقال صلى الله عليه وسلم في شأن الغيبة: «ذِكْرك أخاك بما يكره». (مسلم ٢٥٨٩).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يبيع الرجل على بيع أخيه». (متفق عليه: البخاري ٢١٣٩، ومسلم ١٤١٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «ولا يخطب على خطبة أخيه». (صحيح البخاري ٥١٤٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم ألحن بحُجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا بقوله، فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها». (متفق عليه: البخاري ٢٦٨٠، ومسلم ١٧١٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا». (متفق عليه: البخاري ٢٤٤٤، ومسلم ٢٥٨٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا كفَّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما». (متفق عليه: البخاري ٦١٠٤، ومسلم ٦٠).

كما ذكَر صلى الله عليه وسلم المؤمنات بذلك؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها». (البخاري (٥١٥٢).

ولما أمر صلى الله عليه وسلم النساء العواتق، والحيض، وذوات الخدور أن يخرجن لصلاة العيد ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين، فقالت: أم عطية رضي الله عنها: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: «لتُلبسها أختها من جلبابها». (متفق عليه: البخاري ٩٧١، ومسلم ٨٩٠).

أخوة أساسها العقيدة والإيمان، وقاعدتها الدين الخالص للواحد الديان، تتوارى معها التنوعات العرقية، وتموت العصبيات القومية، والفوارق الجنسية، لتبقى القاعدة الكبرى التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي الذي تضمه آصرة خاصة، وتظله راية واحدة لا ثاني لها، إنها راية الإيمان.

كم هو جميل أن يقارن الفرح بالعيد وبهجته بجمع الشمل فإن الناس متساوون في التكاليف حقوقًا وواجبات، لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى. لا تفاضل في نسب، ولا تمايز في لون هذا هو ديننا، ليس إلا الإسلام جامعًا للقلوب المتنافرة، وليس غير الدين مؤلفًا -بإذن الله- بين الأفكار المتناثرة، فيجب إحياء الإخوة الإسلامية ودعائم الحب في الله فإن ذلك يصبغ في المسلم السريرة ويحفظه في المسيرة، فيشعر المسلم بأخيه كما يشعر بنفسه، ويستغفر لأخيه كما يستغفر لنفسه كحال من أثنى الله عليهم فقال: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (الحشر: ٩- ١٠).

وتلتمس الأعذار وتستغفر لأخيك كما تستغفر لنفسك وتدعو له، فهذا نبي الله موسى عليه السلام لما تبيَّن له عُذر أخيه، وعلم أنه لم يُفرّط في الواجب الذي كان عليه من أمر الله، قال الله تعالى: «وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» (الأعراف: ١٥٠-١٥١).

فالعيد مناسبة لإطلاق الأيدي الخيرة في مجال الخير؛ حيث تعلو البسمة الشفاه وتغمر البهجة القلوب، مناسبة لتجديد أواصر الرحم في الأقرباء، والود مع الأصدقاء، تتقارب القلوب على المحبة، وتجتمع على الألفة والمودة، فإن مجامع الأخلاق ولُبّ المحاسن أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، والمؤمن يقول خيرًا أو ينمّي خيرًا، وقد قيل: من رزق حياءً مع قلة أذى، وصلاحًا مع قلة كلام، وعملًا مع قلة فضول، فقد أوتي محاسن الأخلاق، وليكن حظّ أخيك منك ثلاثًا: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمّه، وإن لم تمدحه فلا تذمه، ما أحوج المسلمين إلى وعي هذه الحقيقة، وتذكر هذه النصوص، والقيام بهذه الحقوق، وعليه: فإن القاعدة الأصلية بين المسلمين أن يسعوا في كل أمر يؤلف بينهم ويجمع كلمتهم ويوحد رأيهم، فمتى استشعر كل منا أنه أخ للناس، وأنهم إخوان له لزمه أن يحبهم ويحبونه، ويصلهم ويصلونه، ويبرّهم ويبرونه، ويؤثرهم ويؤثرونه، حين يسود هذا الشعور جميع المسلمين ترفرف عليهم أعلام المحبة والوئام والسلم والسلام، وحسب المسلم من حب إخوانه له الثناء عليه بالخير في حياته وبعد مماته، وهذا ينفعه بإذن الله.

اللهم ألّف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا، وكل عام وأنتم بخير

الجـان واستماعهم للقرآن

إعداد د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله منزل القرآن، حُجَة الله على الإنس والجان، الفارق بين الحق والبهتان، المبين وسائل الشيطان، والهادم لمعالم الطغيان، به أعجز الله الإنس والجان، أرسله على نبيه في فترة من الزمان، بعد أن درس الوحي من الأركان، فكانت رسالته شاملة كي يتحاكم إليه الثقلان، ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم خاطب به أهل مكة، وقد أمره الله أن يتلو عليهم القرآن، وطلب منهم أن يستمعوا لآيات الذكر ليؤوبوا إلى الرحمن، فقال تعالى في مطلع سورة فصلت وهي مكية: «حمٓ (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ» (فصلت: ١ - ٥)؛ فأظهروا الإعراض الكامل عن سماع الذكر بكل الوجوه، فقلوبهم مغطاة ومغلفة، وآذانهم فيها صمم لا يسمعون، بل قالوا: إن الحجب بيننا وبينك يا محمد كبيرة كما زعموا فلا نراك، وهذا من أعظم الخذلان؛ حيث رضوا بالضلال عن الهدى، واستبدلوا الكفر بالإيمان، وباعوا الآخرة بالدنيا.

فحزن النبي صلى الله عليه وسلم من إعراضهم ونكوصهم عن سماع الذكر والبيان، ولم ييأس فطاف على الناس في كل مكان، يغشاهم في مجامعهم وأسواقهم ليتلو عليهم القرآن.

وبعد موت خديجة وعمه أبي طالب ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ليُعلِّمهم القرآن، لكنه رجع يجر أذيال الحزن، وقد قابلوه بكل أنواع الإعراض، فأراد الله أن يُسلِّي نبيه بإيمان خلق من الجان يستمعون القرآن أحسن الاستماع، قد أنصتوا عند تلاوته وتعجبوا من سماعه، وآمنوا بآياته، ورجعوا إلى قومهم منذرين، وبوعده مرغبين، وبوعيده محذرين، وبالإيمان بنبيه راغبين، وكانوا قد شعروا بتغيُّر الأكوان وتهيؤ الزمان لاستقبال نبي من ولد عدنان، فوجدوا أن الشهب قد رصدتهم، وأن خبر السماء لم يعد في

قدرتهم، فاجتمع إبليس اللعين وطلب من مردتهم أن يطوفوا الأرض وينظروا ما سببٍ شدتهم.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " انْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاَةَ الفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا وَاللهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا: «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» (الجن: ٢)، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ» (الجن: ١) وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الجِنِّ" (البخاري ٧٧٣، ومسلم ٤٤٩).

هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر ما اختارهم للتوجُّه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك فغلب عليهم ما قُضي لهم من السعادة بحسن الخاتمة، وكان هذا في أوائل البعثة، وكانوا يسترقون السمع، فلما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم كان من يسترق يُحرق بشهاب من السماء، وها هم الجن يقولون: «وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا» (الجن: ٨- ٩).

إن المتمعن في إيمان الجان يرى عجبًا لأهل الزمان، لما أغلق الإنس آذانهم عن سماع القرآن أرسل الله خلقًا من الجان تعاملوا مع القرآن عند سماعه، وقد أخذوا بكل مراتب أخذ القرآن وهي خمس:

١- الاستماع، قال الله عز وجل: «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا» (الجنّ: ١).

٢- التلاوة، فقد ذهبوا بالقرآن إلى قومهم، وتلوا عليهم الآيات، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ» (الأحقاف: ٢٩: ٣١).

٣- الحفظ، فقد حفظوا الآيات وتناقلوها فيما بينهم ونشروها في الآفاق.

٤- التدبر، فلو لم يكونوا قد تأثروا بالقرآن ما اجتمعوا لسماعه بهذا التكالب، ولنا أن نقرأ هذه الآية الدالة على تجمهرهم لسماعه وتدافعهم لينهلوا من بيانه: قال الله تعالى: «وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا» (الجن: ١٩)؛ وفي هذه الآية وصف عظيم؛ إذ وصف الجان بحرصهم على سماع القرآن، فمعنى "لبدًا" كما قال البغوي: «كادوا» يعني الجن «يكونون عليه لبدًا» أي يركب بعضهم بعضًا ويزدحمون حرصًا على استماع القرآن. هذا قول الضحاك ورواية عطية عن ابن عباس. وقرأ هشام عن ابن عامر: "لبدا" بضم اللام، وأصل "اللبد" الجماعات بعضها فوق بعض، ومنه سمي اللبد الذي يفرش لتراكمه، وتلبد الشعر: إذا تراكم.

٥- العمل، فبعد سماعهم للقرآن آمنوا به وانخلعوا من تبعة أهل الضلال من الأبالسة، ففي لحظة من الزمان يتحولون من قادة الشر واتباع الشيطان إلى خلق قد تجرد للإيمان، ولم يخف من ذي سلطان، فها هم يهاجمون قادة الشر من الشياطين، ويعلنون البراءة منهم، فقالوا عن إبليس: «وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا» (الجن: ٤)؛ أي: جاهلنا، قال مجاهد وقتادة: هو إبليس. و« على الله شططا »

كذبًا وعدوانًا، وهو وصفه بالشريك والولد.
فلما انتهت التلاوة لم يلبثوا أن سارعوا إلى قومهم « قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم » (الأحقاف: ٣٠)، ولوا إلى قومهم مسارعين يقولون لهم: إنا سمعنا كتابًا جديدًا أنزل من بعد موسى، يصدق كتاب موسى في «مصدقا لما بين يديه»؛ أي: من الكتب المنزلة قبله على الأنبياء. وقولهم: «يهدي إلى الحق»؛ أي: في الاعتقاد والأخبار، «وإلى طريق مستقيم» في الأعمال، فإن القرآن يشتمل على شيئين: خبر وطلب، فخبره صدق، وطلبه عدل، كما قال: « وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا » (الأنعام: ١١٥)، وقال: « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » (التوبة: ٣٣)، فالهدى هو: العلم النافع، ودين الحق: هو العمل الصالح. وهكذا قالت الجن: «يهدي إلى الحق» في الاعتقادات، «وإلى طريق مستقيم» أي: في العمليات.

ولم يكتفوا بهذا بل طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يذهب إلى مجامعهم ويعلن القرآن على مسامعهم، فرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم مرسل إلى الجنّ والإنس، يقول ابن تيمية: "وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، وسائر طوائف المسلمين: أهل السنة والجماعة، وغيرهم. يدل على ذلك تحدي القرآن للجن والإنس: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (الإسراء: ٨٨).

وقد ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى قبيلة من الجن وقرأ عليهم القرآن، وقرع مسامعهم بآيات الذكر والفرقان، فعَنْ عَامِر، قَالَ: سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُود شَهِدَ مَعَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: فَقَالَ عَلْقَمَةُ، أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُود فَقُلْتُ: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ منْكُمْ مَعَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: لاَ، وَلَكنَّا كُنَّا مَعَ رَسُول الله ذَاتَ لَيْلَة فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ في الْأَوْديَة وَالشّعَاب. فَقُلْنَا: اسْتُطيرَ أَو اغْتيلَ. قَالَ: فَبتْنَا بشَرِّ لَيْلَة بَاتَ بهَا قَوْمٌ. فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إذَا هُوَ جَاء منْ قبَل حرَاء. قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ الله فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجدْكَ فَبتْنَا بشَرِّ لَيْلَة بَاتَ بهَا قَوْمٌ. فَقَالَ: «أَتَاني دَاعي الْجنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهمُ الْقُرْآنَ»، قَالَ: فَانْطَلَقَ بنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نيرَانهمْ، وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ: "لَكُمْ كُلُّ عَظْم ذُكرَ اسْمُ الله عَلَيْه يَقَعُ في أَيْديكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَة عَلَفٌ لدَوَابّكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَلَا تَسْتَنْجُوا بهمَا فَإنَّهُمَا طَعَامُ إخْوَانكُمْ» (صحيح مسلم: ٤٥٠).

بل إنهم لما تُليت عليهم آيات الرحمن خروا لها سُجدًا مع أن كبيرهم وقائدهم أبى السجود فلم يقولوا: « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » (الزخرف: ٢٣)، بل خالفوا منهج الآباء إذ كان مناقضًا لهدي القرآن، فعَن ابْن عَبَّاس رَضيَ الله عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ سَجَدَ بالنَّجْم، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلمُونَ وَالْمُشْركُونَ وَالْجنُّ وَالإنْسُ» (صحيح البخاري: ١٩٣١).

فالشيطان أبى أن يسجد للرحمن، وكلما سجد آدمي عند سماع القرآن ولي الشيطان يدعو على نفسه بالويل والخسران، فعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: "إذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ-وَفي روَايَة: يَا وَيْلي- أُمرَ ابْنُ آدَمَ بالسُّجُود فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمرْتُ بالسُّجُود فَأَبَيْتُ فَليَ النَّارُ" (صحيح مسلم ٨١).

ففي إيمان الجان عبرة لكل مؤمن، وتسلية لكل مهموم، وليعلم الجميع أن الإسلام أكرم على الله ممن ينتمي إليه، فإن قام به حَملته رفعهم الله، وإن تخلوا عنه أتى الله بخلق آخر يحمل رسالة الله «وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم» (محمد: ٣٨).

والحمد لله أولًا وآخرًا.

منزلة الشهداء

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد انتهينا من الحديث عن غزوة أُحد، وما فيها من الدروس، والعبر؛ وبقيت لنا وقفة مهمة مع أهل الشرف، والعزة والكرامة؛ مع شهداء أُحد رضي الله عنهم؛ لنتذاكر معهم فضل الشهادة في سبيل الله تعالى.

فكم كان عدد شهداء المسلمين في أُحد؟

لقد بَلَغَ عَدَدُ مَن اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُد سَبْعِينَ رَجُلًا، ستَّةَ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَهُمْ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِب، وَمُصْعَبُ بنُ عُمَيْر، وَعَبْدُ اللهِ بنُ جَحْش، وَشَمَّاسُ بنُ عُثْمَانَ، وَسَعْدُ بن خَوْلِي مَوْلَى حَاطِب بن أَبِي بَلْتَعَة، وعَمْرُو الأَسْلَمِيُّ، وَأَرْبَعٌ وَسِتُّونَ مِنَ الأَنْصَار.

عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: مَا نَعْلَمُ حَيًّا مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ أَكْثَر شَهِيدًا أَعَزَّ يَوْمَ القِيَامَة مِنَ الأَنْصَار، قَالَ قَتَادَةُ، وَحَدَّثَنَا أَنَسُ بنُ مَالِك -رضي الله عنه- أَنَّهُ قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُد سَبْعُونَ. البخاري (٤٠٧٨) والفتح (٨/١٢٦).

وعَنِ البَرَاءِ بن عَازِب -رضي الله عنه - قال: فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ. البخاري (٣٩٨٦).

وعَنْ أُبَيِّ بن كَعْب -رضي الله عنه- قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُد قُتِلَ مِنَ الأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا، وَمِنَ المُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ. مسند أحمد (٢١٢٢٩).

وهذا يجرنا إلى الحديث في فضائل الشهداء ومنزلتهم عند الله تعالى فهيا بنا.

الفضيلة الأولى: أنهم أحياء عند ربهم يرزقون:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ

وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ) (آل عمران: ١٦٩-١٧١).

ففي هذه الآيات الكريمة فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما منّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم، وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله، والتعرض للشهادة... وسيأتي بيان ذلك في الأحاديث. (السعدي ص١٥٦).

ويُستفاد من الآيات عدم تسمية الشهيد ميتًا وعدم تسمية الشهادة تهلكة؛ ومثلها قوله تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ» (البقرة: من الآية ١٥٤)؛ فنهى المؤمنين أن يقولوا للشهيد: ميت. قال ابن تيمية: وخص الشهيد بذلك؛ لئلا ينكل الناس عن الجهاد؛ لفرار النفوس من الموت، فإذا كان هو سبحانه قد نهى عن تسميته ميتًا؛ لئلا يكون ذلك منفرًا عن الجهاد فكيف يُسمّى الشهادة تهلكة واسم الهلاك أعظم تنفيرًا من اسم الموت؛ فمن قال قوله: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» (البقرة: من الآية ١٩٥) يراد به الشهادة في سبيل الله؛ فقد افترى على الله بهتانًا عظيمًا!! (قاعدة في الانغماس في العدو: ص٦٦).

الثانية: تمنّي النبي صلى الله عليه وسلم الشهادة

قال البخاري رحمه الله: بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّمَنِّي، وَمَنْ تَمَنَّى الشَّهَادَةَ، ثم روى عن الأعرج عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم، قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه وَدِدْتُ أَنِّي أُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّه فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ"، فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُهُنَّ ثَلَاثًا، أَشْهَدُ بِاللَّه. (البخاري ٧٢٢٧).

وعَن ابْنِ أَبِي عَمِيرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: "لَأَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّه أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي الْمَدَرُ وَالْوَبَرُ" (مسند أحمد ١٧٨٩٤، وإسناده حسن. وقال الهيثمي: رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٩٥٣٥).

الثالثة: الشهيد يبعث يوم القيامة وجرحه ينزف؛ اللون لون الدم والريح ريح المسك

قال البخاري رحمه: باب من يجرح في سبيل الله عز وجل؛ ثم روى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّه، -وَاللَّه أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِه- إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَة، وَاللَّوْنُ لَوْنُ

الدَّم، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْك" (البخاري ٢٨٠٣).

وقال النسائي: "مُوارَاةُ الشَّهيد في دَمه". ثم روى عَنْ عَبْد الله بْن ثَعْلَبَة قَال: قَال رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ لقَتْلَى أُحُد: زَمِّلُوهُمْ بدمَائهمْ فَإنَّهُ لَيْسَ كَلْمٌ يُكْلَمُ في الله إلَّا يَأْتي يَوْمَ الْقيَامَة يَدْمَى، لَوْنُهُ لَوْنُ الدَّم وَرِيحُهُ رِيحُ الْمسْك. (سنن النسائي ٢٠٠١).

وعَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن كَعْب بْن مَالك، عَنْ أَبيه: أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ يَوْمَ أُحُد: مَنْ رَأَى مَقْتَلَ حَمْزَةَ؟ فَقَالَ رَجُلٌ أَعْزَلُ: أَنَا رَأَيْتُ مَقْتَلَهُ. قَالَ: فَانْطَلقْ فَأَرنَاهُ، فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى حَمْزَةَ، فَرَآهُ قَدْ بُقرَ بَطْنُهُ، وَقَدْ مُثِّلَ به، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مُثِّلَ به وَالله، فَكَرهَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يَنْظُرَ إلَيْه، وَوَقَفَ بَيْنَ ظَهْرَانَي الْقَتْلَى، فَقَالَ: أَنَا شَهيدٌ عَلَى هَؤُلَاء الْقَوْم، لُفُّوهُمْ في دمَائهمْ، فَإنَّهُ لَيْسَ جَرِيحٌ يُجْرَحُ، إلَّا جُرْحُهُ يَوْمَ الْقيَامَة يَدْمَى، لَوْنُهُ لَوْنُ الدَّم، وَرِيحُهُ رِيحُ الْمسْك، قَدِّمُوا أَكْثَرَ الْقَوْم قُرْآنًا، فَاجْعَلُوهُ في اللَّحْد. (مصنف ابن أبي شيبة ٣٧٨٠٢). وأصله في البخاري (١٣٥٣).

وعَنْ أَبي أُمَامَةَ، عَن النَّبيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: " لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إلَى الله منْ قَطْرَتَيْن وَأَثَرَيْن: قَطْرَةٌ منْ دُمُوع في خَشْيَة الله، وَقَطْرَةُ دَم تُهَرَاقُ في سَبيل الله، وَأَمَّا الأَثَرَان: فَأَثَرٌ في سَبيل الله، وَأَثَرٌ في فَرِيضَة منْ فَرَائض الله" سنن الترمذي (١٦٦٩) وقال: حَسَنٌ غَرِيبٌ.

الرابعة: الشهيد في الفردوس الأعلى:

عن أنس رَضيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: أُصيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْر وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إلَى النَّبيِّ صلى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ منِّي، فَإنْ يَكُنْ في الجَنَّة أَصْبرْ وَأَحْتَسبْ، وَإنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: "وَيْحَك، أَوَهَبِلْت، أَوَجَنَّةٌ وَاحدَةٌ هيَ، إنَّهَا جنَانٌ كَثيرَةٌ، وَإنَّهُ في جَنَّة الفرْدَوْس" البخاري (٣٩٨٢).

الخامسة: أرواح الشهداء:

عنْ مَسْرُوق، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ الله عَنْ هَذه الآيَة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩)، قَالَ: أَمَا إنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلكَ، فَقَالَ: "أَرْوَاحُهُمْ في جَوْف طَيْر خُضْر، لَهَا قَنَاديلُ مُعَلَّقَةٌ بالْعَرْش، تَسْرَحُ منَ الْجَنَّة حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوي إلَى تلْكَ الْقَنَاديل، فَاطَّلَعَ إلَيْهمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً". فَقَالَ: "هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْء نَشْتَهي وَنَحْنُ نَسْرَحُ منَ الْجَنَّة حَيْثُ شئْنَا، فَفَعَلَ ذَلكَ بهمْ ثَلَاثَ مَرَّات، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا منْ أَنْ يَسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا في أَجْسَادنَا حَتَّى نُقْتَلَ في سَبيلكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا" (مسلم ١٨٨٧).

قال البخاري: "باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا"، ثم روى عن أنس بْن مَالك رَضيَ اللهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحبُّ أَنْ يَرْجعَ إلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْض منْ شَيْء إلَّا الشَّهيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجعَ إلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّات لمَا يَرَى منَ الكَرَامَة". (صحيح البخاري ٢٨١٧).

وعن جَابر بْن عَبْد الله يَقُولُ: لَمَّا قُتلَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرو بْن حَرَام يَوْمَ أُحُد، لَقيَني رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: "يَا جَابرُ مَا لي أَرَاكَ مُنْكَسرًا؟" قَالَ: يَا رَسُولَ الله، اسْتُشْهدَ أَبي وَتَرَكَ عيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: "أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بمَا لَقيَ اللهُ به أَبَاكَ؟" قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: "مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إلَّا منْ وَرَاء حجَاب، وَأَحيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، تُحْيِيني فَأُقْتَلُ فيكَ ثَانيَةً. فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: إنَّهُ سَبَقَ منِّي أَنَّهُمْ إلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ. قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَبْلغْ منْ وَرَائي. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتلُوا في سَبيل الله أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عنْدَ رَبِّهمْ يُرْزَقُونَ» (آل عمران: ١٦٩). رواه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠) وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه. وقال المنذري: إسناده حسن. وهو كما قال، وقال الألباني: حسن صحيح. صحيح الترغيب والترهيب (١٣٦١).

السادسة: خصال عظيمة لا تجتمع إلا في الشهيد

قال الترمذي رحمه الله: باب في ثواب الشهيد، ثم روى عن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: للشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ. رواه الترمذي (١٦٦٣) وقال: صحيح غريب.

وقوله "ست خصال" أي: لا يوجد مجموعها لأحد غيره، وينبغي أن يحمل قوله "ويرى مقعده" على أنه عطف تفسير لقوله يغفر له لئلا تزيد الخصال على ست. (تحفة الأحوذي ٥ / ٢٤٧)، ورواه ابن أبي عاصم في الجهاد (٢٠٤) ولفظه "إنَّ للشَّهيدِ عِنْدَ اللهِ سَبْعَ خِصَالٍ ..."، وساق الحديث كما سبق.

السابعة: حرص الشهداء على ثبات من بعدهم على الجهاد وطلب الشهادة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَحُسْنَ مَقِيلِهِمْ، قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللهُ لَنَا؛ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عَنِ الحَرْبِ، فَقَالَ اللهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ (آل عمران: ١٦٩). رواه أبو داود (٢٥٢٠) وإسناده صحيح. وصححه الحاكم: ووافقه الذهبي في المستدرك (٢٤٤٤).

الثامنة: عن ابن عباس رضي الله عنهما "الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ: نَهْرٍ بِبَابِ الجَنَّةِ، فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً". مسند أحمد (٢٣٩٠)، وإسناده صحيح.

قال البيهقي رحمه الله في الجمع بين وبين الحديث السابق: فَكَأَنَّهُ فِي قَوْمٍ مِنْهُمْ، وَالحَدِيثُ الأَوَّلُ فِي آخَرِينَ، وَلِأَهْلِ الجَنَّةِ مَنَازِلُ، وَدَرَجَاتٌ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ أَحْوَالُهُمْ فِيمَا يُعَذَّبُونَ بِهِ مُخْتَلِفَاتٌ، وَعَلَى ذَلِكَ يُحْمَلُ مَا رُوِّينَا فِي أَنْوَاعِ الثَّوَابِ وَالعِقَابِ، فَيُصْنَعُ بِقَوْمٍ هَكَذَا وَبِقَوْمٍ كَذَلِكَ لَا أَنَّ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأَخْبَارِ يُخَالِفُ صَاحِبَهَا خِلَافَ تَنَاقُضٍ وَلَكِنَّ أَحْوَالَهُمْ تَخْتَلِفُ فِي أَنْوَاعِ مَا يُجْزَوْنَ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالعِقَابِ. إثبات عذاب القبر (٦٨).

التاسعة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنَ القَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ" سنن الترمذي (١٦٦٨) وقال: حسن صحيح غريب.

العاشرة: عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "الَّذِينَ إِنْ يُلْقَوْا فِي الصَّفِّ لَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ -أي يتمرَّغون ويضطجعون- فِي الغُرَفِ العُلَى مِنَ الجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ" (مسند أحمد (٢٢٤٧٦). وقال الهيثمي: رجاله ثقات. مجمع الزوائد (٩٥١٣). وقال الألباني: حسن صحيح. صحيح الترغيب (١٣٧٢).

ولهم فضائل أخرى، ونكتفي بما ذكر، والحمد لله رب العالمين.

صدر حديثاً

المجلد الجديد
بمقر مجلة التوحيد

يوجد مجلدات السنوات القديمة
سعر المجلد ٢٥ جنيه
بدلاً من ٥٠ جنيه
حتى عام ١٤٣٩ هـ

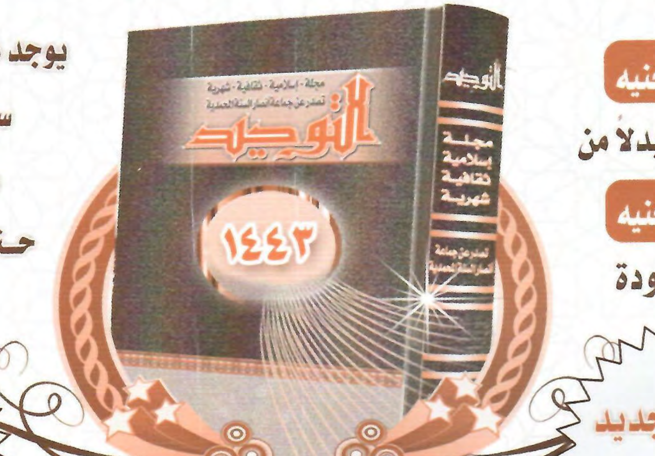

١٢٠٠ جنيه
سعر الكرتونة بدلاً من
~~١٥٠٠~~ جنيه
لفترة محدودة

هدايا قيمة
لأول ١٠٠ مشترٍ

سعر المجلد الجديد
١٠٠ جنيه

لعام ١٤٤٣ هـ

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

علم نافع لايستغني
عنها البيت المسلم»

التوحيد

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) **٢٠٠** جنيه سنوياً.

للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢